



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج -



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب حديث ومعاصر

عنوان المذكرة:

صورة المقاومة الفلسطينية في كتابات الأسرى الفلسطينيين
رواية " الطريق إلى شارع يافا " للأسير عمار الزين - أنموذجا -

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر.

إشراف الدكتور:

عبد الله بن صفية

إعداد الطالب:

- حمزة بن عبد الله

أعضاء اللجنة المناقشة:

الصفة	المؤسسة	الرتبة	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة الشير الإبراهيمي برج بوعريريج	أستاذ	ياسين بغورة
مشرفا ومقررا	جامعة الشير الإبراهيمي برج بوعريريج	أستاذ محاضر أ	عبد الله بن صفية
مناقشا	جامعة الشير الإبراهيمي برج بوعريريج	أستاذ محاضر أ	وليد خضور

السنة الجامعية: 1444-1445هـ/2023-2024م

ملحق بالقرار رقم 1082/... المؤرخ في 27 صفر 2020
الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرقي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة):
الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 103548974 والصادرة بتاريخ: 20.12.2017/02/20
المسجل(ة) بكلية / معهد
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)،
عنوانها:
أصريح بشرقي أنني، ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية
المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2024/07/01

توقيع المعني(ة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

طائفة من بين من يجذب به تحت تحت تهشم جم حم النمل: ١٩...

الحمد لله والشكر له أولا وأخيرا على فضله وكرمه وبركاته أن وفقنا لإتمام هذا العمل.

ونصلي ونسلم على سيد الخلق أجمعين إمام المتقين وصاحب الرسالة الجليلة في العلم سيدنا محمد عليه أزكى الصلوات والتسليم وعلى آله وصحبه أجمعين.

بصدق الوفاء والإخلاص أتقدم بشكري وامتناني إلى الدكتور "عبد الله بن صفية" الذي أشرف على هذه المذكرة، وعلى نصائحه وتوجيهاته القيمة التي مكنتني من إخراج هذا العمل المتواضع إلى حيز الوجود.

وأقدم أيضا بخالص شكري إلى أساتذتي الكرام وإلى كل من ساعدني في إنجاح هذا العمل.

فأقول لكل من أعانني أعانكم الله
وجزاكم الله كل خير وأنا لله لكم الطريق .

الإهداء

الحمد لله ناصر المجاهدين ومذل الصهاينة المعتدين، والصلاة والسلام على نبينا
المجاهد الشهيد وعلى آله وصحبه ومن جاهد جهاده وبعد:

أهدي عملي المتواضع إلى من كانا سببا في وصولي إلى هذا المبلغ من العلم بعد الله

والداي الكريمين الفاضلين حفظهما الله

فدعائهما قد صاحبني طوال مسيرتي العلمية

إلى الذين بصدقهم بلغوا المدى، وإلى الذين بعزمهم هزموا العدا، وإلى الذين تفجروا

بركان ثأر ليس يرعهم ردى، إلى حراس الأقصى المبارك أليكم يا جند الله، أبناء

الياسين والرنيتيسي وشحادة، إليكم يا جند كتائب الشهيد عز الدين القسام

إلى القائد الأبى أبو خالد محمد الضيف، إلى أبو إبراهيم يحيى السنوار، وإلى المثلث

الحبيب أبي عبدة

إلى الأسير عمار الزبن، إلى الأسير عبد الله البرغوثي أمير الظل، وإلى عميد الأسرى نائل

البرغوثي ولكل أسرانا الأبطال

إلى شهداء العبور المبارك، إلى شهداء طوفان الأقصى العظيم

لروح أبوالمجد ياسر، والحيدرة أبو عماد، لكل شهيد مجاهد أثنى في جنود

الاحتلال

لروح ابنت السنوات الثلاث حبيبة الرحمان مصعب الكرد

إلى كل مقاوم مجاهد

إليكم أيها الأحباب أهدي هذا العمل

مقدّمة

مقدمة:

يعدُّ أدب المقاومة ميدانا مهما من ميادين الإبداع ونصا ثقافيا مميزا بخصوصياته البنيوية والدلالية بالنظر إلى مواضيعه وجوانبه الجمالية، وأطره الفكرية المؤسسة له، فمن خلاله يستطيع القارئ اكتشاف مكامن القضايا المطروحة في زمن محدد من تاريخ المقاومة، وبذلك فقد غدا هذا الأدب وسيلة مهمة في توصيف الصراع الفكري والثقافي الدائر بين الاحتلال والشعوب التي تعاني منه وخاصة في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

إنَّ فعل المقاومة وما يستتره من ردود أفعال شنيعة من طرف المحتل ينتج عنه نوع آخر من الأدب يرتبط رأسا بالسجن والسجناء، حيث تنبعث من غياهب سجون الاحتلال الصهيوني قبسات إبداعية تعكس عالما لا يراه إلا الأسير، فتفتق عن مسوداته ما يكسر قيود الصمت التي يعانيها فردا لتستغرق الشعب الفلسطيني ككل باعتباره يعيش في سجن كبير في أرضه، حيث يمنعون من أدنى حقوقهم الإنسانية ، ناهيك عما يقدمه هذا اللون الإبداعي من ويحكون بطولات المقاومة لإرسال دفعة أمل للشباب الفلسطيني والعربي والمسلم، من خلال روايات عبرت عن ذات الأسير المقاومة واستكشفت نفسيته التي لم تنكسر رغم ظلمة وظلم السجن والسجان.

ومن أجل إبراز ملامح المقاومة في أعمال الأسرى الفلسطينيين الأدبية، قمت بوسم بحثي بعنوان "صورة المقاومة الفلسطينية في كتابات الأسرى الفلسطينيين"، وانتقيت من بين منجزات الأسرى رواية "الطريق إلى شارع يافا" للأسير "المبدع عمار الزبن" الذي كان أحد هؤلاء المبدعين، والذي خطَّ في روايته سطورا من تاريخ المقاومة الفلسطينية في نهاية التسعينيات من القرن الماضي بكلمات كتبها بقلبه قبل أن يكتبها بيده، وهو الذي عاش حياته مجاهدا غرا في وحدة "الشهداء لتحرير الأسرى" ثم أسيرا لأكثر من سبعة وعشرين سنة تذوق فيها صنوف التعذيب والظلم والقهر الإبعاد عن الأهل، فجعل من الكتابة وسيلة لنقل الأمل والغضب وروح المقاومة ، وقد أبدع الأسير الروائي عمار الزبن توصيف مظاهر المقاومة في رواية أدبية جمعت بين أدب السجون الذي عكس حالته الشخصية كونه أسيرا يقضي حكما بسبعة وعشرين مؤبدا، وبين أدب المقاومة الذي يجسد زمنا غيبت الدواع الأمنية نقله وروايته.

ويعود سبب اهتمامي بموضوع أدبي المقاومة والسجون إلى كتابات الأسير "عبد الله البرغوثي" التي سطرها من داخل سجون الاحتلال الصهيوني وصادف ذلك رغبتني في ترك بصمة تتحطم فيها الحواجز كانت قبل أحداث طوفان الأقصى المبارك، ولنقص الدراسات التي تتناول أدب السجون الفلسطيني بشكل خاص في الجامعات الجزائرية وخاصة منها الأعمال الروائية، وكذا محاولة إبراز الصورة الحقيقية للمقاومة الفلسطينية من خلال كتابات الأسرى ذوي الماضي الجهادي.

ولأن هذه الرحلة التأملية التي تقودها الحماسة والرغبة قد صاحبها اليوم ما يؤطرها أكاديميا لإثرائها وتعزيزها، لرسم معالم المقاومة الفلسطينية وصورتها عند الروائي الأسير، والذي تختلف لغته وأسلوبه عن الروائي الحر، فتتكون بذلك فكرة المقاومة في الرواية وتعيد إنتاج دلالات متعددة وصور واقعية لحياة المجاهدين، سأحاول من خلال هذا البحث تقصي وتتبع معالم المقاومة في الرواية من خلال الإجابة عن مجموعة من التساؤلات:

- ما هي الصورة الروائية وكيف عرفها العرب المتقدمين والمتأخرين؟
 - ما هو أدب المقاومة، وما هي سياقات ظهوره في فلسطين؟
 - ما هو أدب السجون، وكيف عمل على تصوير فعل المقاومة من داخل الزنازين؟
 - ماهي الخصائص البنيوية والميزات الدلالية لأدبي المقاومة والسجون؟
 - كيف تظهر فعل المقاومة من خلال تشكلات اللغة ومضمون النص الروائي المقاوم؟
- وأخذا بالتخصص سيتناول هذا البحث موضوعه بأطر سردية متناولا بالدرس المنهجي الرواية النموذج، والتي ستكون منطلقا أساسيا، ومتحكما قاعديا في الوصول إلى النتيجة وتفعيل المقاربة.
- وتكمن أهمية هذا البحث في تسليطه الضوء على الدور الذي يقدمه أدب المقاومة في السجون في المعركة الثقافية التي تدور رحاها في فلسطين، والكشف عن صورة المقاومة الفلسطينية عند الأسير ودلالات الكلمات والأحداث والشخصيات التي أوردها الأسير "عمار الزبن" في روايته، وذلك إيمانا بأن ما يحفظه تاريخ المقاومة المشرف يسجله قلم المبدع الذي عايش الأحداث، وهو ما من شأنه أن

يزيد من الإقبال على أدبي المقاومة والسجون لاستكشاف حقيقة حياة المجاهدين، ويقلص المزايدات التي يطلقها الصهاينة الرامية لصرف الناس عنهم وعن المقاومة كافة.

لما كانت الخطة بمثابة السبيل والدليل الذي يوجه البحث ويضبطه فقد حرصت وفق ما يفرضه الموضوع على وضع خطة مكونة من مدخل وثلاثة فصول.

فتناولت في المدخل الجوانب النظرية للموضوع، بداية بتعريف لمصطلح الصورة عند كل من المتقدمين والمتأخرين العرب، ثم تطرقنا إلى مفهوم أدب المقاومة وظروف نشأته في الأراضي الفلسطينية المحتلة وكذا صراعه مع الأدب الصهيوني في إطار الحرب الثقافية وختاماً مع نماذج محددة لبعض الروائيين وأعمالهم، وعرجنا بعد ذلك إلى مفهوم أدب السجون عامة ثم التجربة الفلسطينية المميزة وختاماً ببعض النماذج لروائيين وأعمال روائية وشعرية كتبت في السجون الصهيونية.

أما بالنسبة للفصل الأول فقد تناولت فيه دراسة تطبيقية وتحليلية لبنية الشخصية والحدث لرواية "الطريق إلى شارع يافا"، حيث تم التطرق إلى مجموعة من الشخصيات المقاومة مبرزين أهم أقوالها وأفعالها وصفاتها المتعددة، ثم تناولنا الحدث في تحليل لكامل الرواية عبر ثلاث وضعيات (المنطلق، الإنجاز، الوصول).

في الفصل الثاني حاولت استكشاف صورة المقاومة من خلال بنيتي الزمن والمكان، حيث تناولنا في الزمن مسارات المقاومة عبر المفارقات الزمنية استرجاعاً واستباقاً، ثم عبر تتبع الإيقاع السردى بتقنيته التسريع والتبطيء، ثم المكان من خلال كشف دلالات بعض الأمكنة النصية وتقاطبها في فكرة الرواية ورؤيتها.

وفي الفصل الثالث عرجت فيه استكشاف فعل المقاومة في التشكلات اللغوية للرواية من خلال المصطلحات المميزة والمبادئ الفكرية للروائي، ثم في المضامين السردية في الرواية من خلال الإشارة إلى قوة الكلمة عند الأسير ودلالات شخصية خليل الشريف والشيخ أحمد ياسين وطبيعة توظيفها في الرواية.

وفي الأخير أنهيت العمل بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها، وأعقبته بقائمة للمراجع والمصادر.

ومن الناحية التوثيقية فإن البحث واجه بعضاً من المشاكل من ناحية المراجع التي تعالج موضوعي أدب المقاومة والسجون الفلسطينية خاصة منها تأتي على تحليل الأعمال الروائية، وبالنسبة للرواية النموذج وبعد البحث المطول لم تتوفر أي دراسة سابقة لها سواء في الجزائر أو في باقي الوطن العربي، ومن بين المراجع التي استطعت الاعتماد عليها خلال البحث أذكر:

- أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966 والأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1966 لغسان كنفاني.

- الجوانب الإبداعية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية لرأفت حمدونة.

- خطاب الرواية بحث في المنهج لخيرار جنيث.

- بوصلة المقاومة لعبد الله البرغوثي

وفي الأخير ما يسعني إلا أن نتقدم بحزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف "عبد الله بن صفية" سائلين المولى عز وجل أن يجعله ذخرًا وعونا لكل طالب علم، كما لا يفوتني أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى اللجنة المناقشة وإلى إدارتي كلية الأدب واللغات وقسم اللغة العربية وآدابها وكل الأساتذة الذين كان لهم الفضل في تكوين الطلبة والإشراف على منجزاتهم البحثية.

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns, featuring small flowers and leaves, framing the entire page.

مدخل

تأطيرات مفاهيمية

أولاً: الصورة الروائية

ثانياً: أدب المقاومة

ثالثاً: أدب السجون

أولا- الصورة:

يعد هذا المصطلح من المصطلحات الهلامية التي اختلف الباحثون على مفهومها قديما وحديثا، فالمتتبع لكلام الدارسين في مفهومها وماهيتها ليجد ذلك الفرق بين المتقدمين والمتأخرين لغة واصطلاحا بسبب تغير طبيعتها على كل عصر، فشاع عند النقاد العرب المتأخرين مصطلح الصورة الروائية في مقابل الصورة الفنية الشعرية متأثرين بكتابات الفرنسيين وعلى رأسهم الناقد المجري ستيفان أولمان صاحب كتاب الصورة في الرواية.

1/ الصورة الروائية:

تناول العديد من البلاغيين القدماء والنقاد المعاصرين مفهوم الصورة، وحين التمعن في المفاهيم التي أوردوها نجد الفرق الكبير بين المتقدمين والمعاصرين في تعريف الصورة في الأدب.

1-1/ عند العرب المتقدمين:

في تعريفه للشعر ذكر "الجاحظ" مصطلح التصوير في كتابه "الحيوان" بقوله: "فإنما الشعر صناعة وضرب وجنس من التصوير"¹؛ فقد ارتبط مفهوم الصورة بشكل كبير عنده بالشعر حيث رأى أن الشاعر من يجيد نسج الكلمات لتصوير مشهد.

كما أن "الجرجاني" أشار بشكل واضح لمفهوم الصورة فقال في "كتابه دلائل الإعجاز": "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، فصورة الشيء في الصياغة وإصابة المعنى منه"²؛ وقصده أن العمل الأدبي المميز يقوم على إصابة المعنى وحسن صياغته، والصورة عنده مرتبطة بالصياغة والشكل والمعنى.

ومن جهته أشار "أبو هلال العسكري" في كتابه "الصناعتين" إلى الصورة فقال: "وإنما جعلنا حسن

¹ - عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج3، 1965، ص132.

² - عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، دمشق (سوريا)، ط1، 2008، ص167.

المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة"¹، فقد جعل من قبول الصورة شرطا من شروط البلاغة في النص الأدبي.

1-2/ عند العرب المعاصرين:

لقد كانت الصورة عند المتقدمين ذات مفهوم متذبذب ومختلف من حيث التوظيف، أما عند المعاصرين فقد سعى الدارسون إلى تحديد مفهومها حسب توجه كل واحد منهم وحسب مرجعيتهم الفكرية والمعرفية، فظهر ما يسمى بالصورة الروائية عند بعض النقاد المغاربة، وكان من أبرزهم "الناقد المغربي محمد أنقار" الذي كان رائد الصورة الروائية في الوطن العربي وفصلها بشكل كامل عن الصورة الشعرية والبلاغية القديمة حيث عرف الصورة الروائية: "بأنها نقل لغوي لمعطيات الواقع وهي تقليد وتشكيل وتركيب في وحدة، وهي هيئة وشكل ونوع وصفة، وهي ذات مظهر عقلي ووظيفة تمثيلية ثرية في قوالبها ثراء فنون الرسم والخفر والتصوير الشمسي"²؛ ومن خلال تعريفه نرى أنه عرف الصورة الروائية بكونها نقل لغوي أي أنها ذات طبيعة لغوية فهي تتداخل مع مكونات الرواية وتحقق فيها وهي تتمتع بنفس مواصفات الصورة الفنية من حيث تعدد أنماطها وفعاليتها الدلالية ووظيفتها الجمالية.

وذهب "محمد أنقار" إلى "أبعد من مجرد فصل الصورة الروائية عن الصورة الشعرية بل وصف أن كل تعبير مكتوب هو في جوهره تصوير باللغة"³.

وفي السياق نفسه قال: "وحقيقة الأمر أنه مثل ما تمتاز الصورة الشعرية من معين الشعر وتجسم ماهيته المتوترة وتن تحت وطأة غموضه وتمرح في إيقاع موسيقاه وتصرح عبر متاهات رموزه فإن الصورة الروائية تخفق دورها في فضاء الجنس الروائي وتتفاعل مع باقي مكوناته وتواكب تفتحه على الأجناس الأخرى"⁴؛ وقال أيضا: "قوانين الصورة الروائية وظيفتها ليست نفسها في الشعر إذ لكل منهما مظهراته المغايرة في مجالات الديناميكا والإيقاع والتوتر"⁵؛ فهنا يؤكد محمد أنقار على أن التعبير بالصورة ليس حكرا على الشعر وحده بل وسيلة تتفهمها كل الأجناس الأدبية بما في ذلك

¹ - الحسن بن عبد الله بن هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الأحياء للكتب العربية، بيروت (لبنان)، ط1، 1952، ص10.

² - محمد أنقار، بناء الصورة في الرواية الاستعمارية: صورة المغرب في الرواية الإسبانية، مكتبة الإدريسي للنشر والتوزيع، ط1، المغرب، يناير 1994، ص15.

³ - المرجع نفسه، ص16.

⁴ - المرجع نفسه، ص18.

⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الرواية بقواعدها وخصائصها السردية المميزة لها، وهذا ما أكدته مرة أخرى عندما قال: "تجذر الصورة الروائية عميقا في تربية الجنس الروائي اذ تستمد منه ماهيتها وتكتسب قوانينها الذاتية"¹؛ إضافة إلى النكهة الخاصة التي تستوحىها من الطبيعة البنيوية لكل نص روائي على حدة.

أما "صلاح الخالدي" فوصف التصوير الأدبي كونه أرقى الفنون: "فالتصوير إذا هو التعبير بالصور عن التجارب الشعورية التي مر بها الفنان بحيث ترسم أمام القارئ الصورة التي أراد الفنان نقلها له وتكون أداة التصوير هي الألفاظ والعبارات لا الريشة والألوان.

فالتصوير في التعبير هو أرقى أنواع الفنون، فالفن الرفيع هو الذي يحيل الأفكار التجريدية الجامدة إلى صور نابضة بالحياة وفي أحدث مدارس النقد الأدبي يعرف الأدب بأنه التعبير بالصور"².

ويرى "شرف الدين مجدولين" الناقد المغربي أن عملية التصوير الأدبي أصبحت متنوعة: "... فقد بات حقل السرد مرجعا للتنوع الصوري الخاضع لضوابط الجنس والنوع التعبيريين"³.

فأصبحت الأعمال السردية مسرحا للتصوير الفني السردى الخاضع لقواعد النوع الأدبي فالصورة السردية عنده لا تحقق وظائفها التعبيرية والجمالية إلا إذا استندت إلى جنس ونوع أدبي محدد.

من جهته يقول "علي البطل" أن الصورة هي "تشكيل لغوي بكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها فأغلب الصور مستمدة من الحواس"⁴؛ يربط علي البطل الصورة بما يعيشه المبدع في العالم المحسوس الذي يشكله فيما بعد لغويا عن طريق الكلمات.

ومن خلال ما تم تقديمه يمكن القول إن الاختلاف الحاصل في وضع مفهوم محدد للصورة انتقل من المتقدمين إلى المعاصرين كل حسب فهمه ومجال تخصصه ويمكن القول إن "محمد أنقار" كان الأكثر وضوحا من خلال تفريقه بين الصورة الروائية وبقية أنواع الصور التي يستخدمها المبدع في نصوصه.

¹ - محمد أنقار، بناء الصورة في الرواية الاستعمارية: صورة المغرب في الرواية الإسبانية، ص18.

² - صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير عند سيد قطب، عمان (الأردن)، ط1، 2016، ص83.

³ - شرف الدين مجدولين، الصورة السردية في الرواية والقصة والسينما، الدار العربية للعلوم، بيروت (لبنان)، ط1، 2010، ص13.

⁴ - علي البطل، الصورة في الشعر العربي من آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس للنشر والتوزيع، د.ب، ط2، 1981، ص30.

ثانياً-أدب المقاومة:

ارتبط أدب المقاومة بشكل أساسي بالأعمال الأدبية التي نشرها فلسطينيو 48 بعد النكبة، ورغم ذلك وبشكل عام فإن أدب المقاومة حضر في الكثير من الأعمال الأدبية الشعرية منها والنثرية في كثير من الشعوب التي كانت تعاني الظلم والاحتلال، ولعل أوضح مثال هو ما قدمه الأدباء الجزائريون إبان الثورة والاحتلال الفرنسي من خلال أعمالهم الشعرية والنثرية واصطلح على تلك الأعمال عند الباحثين بأدب الثورة الشيء المميز والمختلف الذي وفره من أدب المقاومة ميزة فلسطينية هي النكبة الكبرى عام 1448م التي يقول عنها "غسان كنفاني" في "كتابه الأول أدب المقاومة في فلسطين المحتلة": "حين وقعت كارثة فلسطين عام 1948م لم تخلق تغييراً جذرياً في المجتمع العربي هناك من حيث العدد فقط ولكنها أحدثت أيضاً هزة جوهرية في التركيب الاجتماعي لعرب فلسطين المحتلة"¹.

ففي تلك الفترة لم يبق في فلسطين سوى القليل من أهل القرى العربية وأقل منهم سكان المدن والذين رحل وهجر أكثرهم إلى الشتات والمخيمات التي كانت في المناطق التي رحلوا لها، الأمر الذي جعل من السيطرة على عرب 48 سهلاً بالنسبة للصهاينة وكبح أي تيار أدبي قد يحاول الظهور خاصة وأنه قبل النكبة كان الأدب يشكل رافداً مهماً في فلسطين متأثراً بالأقلام المصرية بالخصوص.

وبالعودة إلى أدب المقاومة فلا يمكن الجزم بتاريخ ظهوره بالنظر إلى سماته المميزة فقد سبقته عدة مصطلحات لعل أبرزها كان أدب المنفى، أدب الانتفاضة... الخ. إلى أن ظهر لأول مرة أدب المقاومة كمصطلح فريد في كتاب "غسان كنفاني" "أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948_1966م"، فكانت هذه بداية ذراع صيت هذا المصطلح وتداوله بشكل كبير لوصف كل عمل أدبي يتناول تجليات الاحتلال الصهيوني على الشعب الفلسطيني من خلال إظهار المآسي التي عانى منها أبرزها تصوير ظروف التهجير والظلم والقتل والدمار الذي تعرض له الشعب الفلسطيني إلى جانب تصوير الشق الآخر من خلال إظهار المقاومة وصمود البطولات التي رسمها المقاومون والمجاهدون والفدائيون.

وسنحاول تحت هذا العنوان وضع مفهوم لأدب المقاومة.

¹ - غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1967، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت (لبنان)، ط1، 1968، ص11.

1/ مفهوم أدب المقاومة:

يطرح "محسن عتيق خان" رؤية "غسان كنفاني" لأدب المقاومة بقوله وهذه الدراسة تعطي غسان مكان الريادة من ناحيتين: ناحية أنه وضع مصطلحا خاصا للإنتاجات الأدبية الثورية التي وجدت في فلسطين المحتلة لأول مرة وهو مصطلح أدب المقاومة كما يبدو من عنوان دراسته، فقد عبر غسان عن الأدب الفلسطيني بأدب المقاومة لأن هذا الأدب يقوم ضد جميع أسباب القمع ويشجع على الوقوف في وجه الاحتلال ويحرض على الثورة والمشي في سبيل الحرية رغم أن الطريقة شائكة.... ومن ناحية أخرى أنه عرض الأدب العربي الفلسطيني أمام العالم العربي لأول مرة وأتاح الفرصة لقراء العربية أن يتعرفوا على هذا الأدب الفلسطيني الذي أكثر مقاوما من الأدب العربي في أي مكان آخر¹.

وهنا يؤكد "محسن عتيق خان" أسبقية وريادة غسان كنفاني بمصطلح أدب المقاومة وجعله خاص بالأعمال الفلسطينية الأدبية المقاومة للاحتلال بكل المواضيع المتاحة ولا يقصر غسان كنفاني مصطلح أدب المقاومة على الأدب الفصيح فقط بل أطلقه كذلك على الشعر الشعبي الذي يعتبر اللبنة الأولى لأدب المقاومة لأنه الأقرب للشعب الفلسطيني فهما وانتشارا بينهم، بحكم أن أغلب سكان فلسطين آنذاك كانوا أهل قرى لا يجيد أغلبهم القراءة والكتابة بالفصحى ولم يكن لديهم القدرة لشراء الكتب لذلك تناقلوا بينهم الأشعار الشعبية شفها.

ويعرف "ابراهيم فؤاد عباس" أدب المقاومة بقوله "بالإمكان تعريف أدب المقاومة من وجهه نظري وبشكل عام بأنه الادب الذي ينتج عن اختلاط المعاناة بمشاعر التمرد التي تموت في نفس الشاعر او الاديب في مواجهه الاحتلال والظلم والاستبداد..."²؛ يوحي هذا التعريف المقدم من ابراهيم عباس عن كون أدب المقاومة أدبا نتج في بيئة مشبعة بمظاهر الظلم القاهر الذي يختلج مشاعر الأديب فيجعله موضوعا لقلمه وقد يكون عند أي شعب من الشعوب التي تصبح تحت وطأة الاحتلال وليس فقط الأدب الفلسطيني، رغم أنه يؤكد من جهة أخرى أن أدب المقاومة الفلسطيني له من السمات المميزة ما يجعله مختلفا عن غيره من حيث الخصائص الإبداعية وتيرة التحدي للمحتل والتمسك بالهوية الفلسطينية والالتصاق بالأرض.

¹ - ينظر: محسن عتيق خان، غسان كنفاني... رائد دراسة الأدب المقاوم والأدب الصهيوني، 2018/7/22.

² - ابراهيم فؤاد عباس، أدب المقاومة الفلسطينية: الجذور والسمات والتطورات، الجمعة 2015/11/13، سا 8:59 بتوقيت القدس.

ويوافق "سيد نجم" هذا الكلام حيث نقل عنه "طارق عبود" من كتابه "أدب المقاومة المفاهيم والمعطيات" قوله أن: "أدب المقاومة تحديداً يتمثل في تجربتي الحرب والثورة مع إذكاء مفاهيم وقيم الانتماء والهوية والحرية وكل تجارب الحياة الفضلى التي تعلي من شأن الإنسان"¹.

وعليه فالأديب الذي يكتب في أدب المقاومة لابد عليه من المرور بتلك التجربة حسب سيد نجم وبإضفاء القيم التي يتبناها الأديب باختلافها وكلها تصب في نهر أدب المقاومة.

2/ ظروف نشأته:

إن ظهور أدب المقاومة في فلسطين كان سببه الرئيسي هو ما أطلق عليه "غسان كنفاني" "الحصار الثقافي"²؛ الذي مارسه الاحتلال الصهيوني على الشعب الفلسطيني بعد النكبة فسقوط فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني رسمياً قد مسح أي أمل لبعث أي محور ثقافي عربي قد يشكل نواة لأعمال أدبية، فلم يبق في فلسطين سوى أهل القرى بينما غادر إلى المنفى أجيال من المثقفين وما حدث أن خضعت الغالبية العظمى لحصار سياسي وثقافي لم يحدث من قبل.

ولفترة طويلة يبقى الأدب الشعبي السبيل الوحيد الذي استطاع به الشعب الفلسطيني التعبير عن معاناته وفي هذا يقول "غسان كنفاني": "ويبدو أنه حين كانت تتحول الأعراس في الجليل إلى مظاهرات عنف تندفع من تحت لسان القوالين والشعراء الشعبيين لم يكن بوسع سلطات الاحتلال الصهيوني إلا أن تفتح النار على المتظاهرين، وقد اضطرت هذه السلطات فيما بعد إلى تقديم عدد كبير من القوانين إلى الحاكم العسكري وأن تضع رقابة عسكرية على تحركاتهم"³.

ظهر كلام غسان مدى وحجم التأثير الكبير للأدب الشعبي في تخفير وإثارة حماس الشعب ضد الاحتلال الصهيوني مما جعله بشكل أو بآخر جزءاً لا يتجزأ من أدب المقاومة واللبنة الأولى لبداية ظهوره في فلسطين، ورغم سجن واعتقال الكثير من القوالين والشعراء إلا أن أشعارهم انتشرت واستمرت تأثيرها فالكلمة قد تفعل أكثر من فعل النار في انتشارها وتأثيرها.

ويضيف "غسان كنفاني" واصفاً الحرب الثقافية التي شنها الاحتلال الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني "أن الوضع الثقافي العربي في الأرض المحتلة يخضع دائماً لمحاولات يهودية مستمرة لجر

¹ - طارق عبود، عن الأدب المقاوم ودوره التاريخي، موقع الميادين، 2017/11/12، ص 20:46 بتوقيت بيروت.

² - غسان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966، دار منشورات الرمال، قبرص، ط1، 2013، ص14.

³ - المرجع نفسه، ص19.

المثقفين العرب إلى داخل الدائرة الصهيونية ولا يهم السلطات الإسرائيلية أن ينتسب المثقف العربي إلى المعارضين الصهاينة أو إلى الموالين الصهاينة ما دام يصدر عن قاعدة غير الشخصية العربية"¹.

إذا كان الاحتلال الصهيوني "يمنع كل صوت عربي يتبنى وجهات نظر تعارض الصهيونية وفي المقابل كان يشجع العرب الصهاينة سواء كانوا يهودا عرب أو من العرب الذين يخدمون الرؤية الصهيونية، وأعطى مثالا بالجرائد العربية التي كانت تصدر في ذلك الوقت يوجد في الأرض المحتلة 16 صحيفة تصدر بالعربية أو واحدة منها يومية وهي للحكومة وثمان أسبوعية وسبع شهرية كلها على الاطلاق تتبع الأحزاب الإسرائيلية الصهيونية وتعتبر داخل الدائرة الصهيونية عن وجهات نظر الموالية أو المعارضة"²؛ وهذا ما يؤكد سعي الاحتلال الصهيوني لإعدام وجود أي صوت مقاومة فهم يعلمون مدى قوة التأثير كلمة المقاومة واحتياج العرب الفلسطينيين لمن يثير شرارة حماسهم بالمقاومة.

وكإجراء آخر اتخذ الاحتلال الصهيوني في حصاره الثقافي ضد العرب 48 كان سياسة التجهيل المتعمد حيث قال "غسان كنفاني" في كتابه الأدب الفلسطيني المقاوم: "إن سياسته التجهيل المتعمد هي سمة بارزة من سمات الاضطهاد الثقافي الصهيوني لعرب الأرض المحتلة وفي هذا النطاق تبرز مسألة التعليم وانخفاض مستواه في الوسط العربي كشيء أساسي"³؛ وهذه السياسة هي أكثر ما يميز كل احتلال فالجهل هو أكبر ضربة قد تأتي على مجتمع تحت الاحتلال وفي كتابه الأول أدب المقاومة في فلسطين المحتلة أشار إلى تأثير سياسة التجهيل على الشعب الفلسطيني في الداخل، وقد أثبتت الإحصاءات رسمية أن غالبية الطلاب العرب يغادرون مدارسهم بين 14 وال 15 من أعمارهم للعمل على كسب اللقمة وإن 40% من الطلاب العرب الذين يدخلون المرحلة الدراسية الثانوية يغادرونها إلى العمل وليس إلى إكمال الدراسة.

إن عشرة بالمئة فقط من مجموع الطلاب العربية ينجحون كل سنة في شهادة الثانوية وأولئك الذين يستطيع وضعهم الاقتصادي والاجتماعي تأهيلهم لدخول الجامعة يتعرضون إلى سلسلة من الشروط تمنعهم من الدراسة في كليات معينة، أما الكليات المخصصة للدراسات الأدبية الشرقية فهي تعاني من نقص فادح من المؤهلات وهو نقص متعمد"⁴؛ وكلامه دليل واضح على سعي الاحتلال

¹ - غسان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966، ص 26.

² - المرجع نفسه، ص 27.

³ - غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1967-1984، ص 19.

⁴ - غسان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966، ص 25.

الدؤوب لمنع كل نواة أدبية قد تصدر داخل الأرض المحتلة هذا ما جعل الإنتاج الأدبي الفلسطيني داخل الأرض المحتلة شبه المعدوم ولهذا يؤكد "غسان كنفاني" مره أخرى: "وكي ندرك فعلا ما هي قيمة أدب المقاومة الفلسطينية في فلسطين المحتلة من خلال النتائج الذي أعطانا في العشرين سنة الماضية لابد من إدراك حجم المصائب التي تشكل التحديات اليومية في الحياه الثقافية العربية في الأرض المحتلة"¹، فالحياة التي كان يعيشها عرب الأرض المحتلة اليومية كانت عبارة عن جحيم بين سياسات الاحتلال الصهيوني التي كانت تهدف لإبادة كل أثر فلسطيني سواء كان أدبيا أو ثقافيا أو حتى إنسانيا، هذه المظاهر الاحتلالية الصهيونية التي كانت تدفع دفعا الأديب الفلسطيني للكتابة ومقاومه الاحتلال وتبنيها لشعبهم ضد محاولات الصهاينة محو وجودهم.

هذا ما نجح فيه أمثال "غسان كنفاني" و"محمود درويش" بعد أن وجدوا في مخيمات اللجوء والمنافي المكان الذي اندلع منه شلال حبرهم وأصواتهم المقاومة تلك الأصوات والأقلام التي ساهمت بشكل أو بآخر في وجود الكيانات المسلحة المقاومة بالسلاح مدفوعة بتأثير الكلمة القوية التي كان أدباء فلسطين يناضلون لإيصالها إليهم ولسنوات تلت النكبة، ظل أدب المقاومة في فلسطين المحتلة حبيس السياسات الصهيونية والحصار الثقافي الذي أطبقه الاحتلال على الفلسطينيين فكانت القرى هي الميدان الوحيد الذي انتشر فيها الشعر والأغاني الشعبية التي كانت تتسم دوما بنبرة الحماس والتحفيز الذي ميز أدب المقاومة.

وهذا ما أكدته "غسان كنفاني" بقوله "الميدان الحقيقي لأدب المقاومة ظل في مساحات القرى والمهرجانات العنيفة ونشره الحقيقي ظل عن طريق الحفظ"²؛ وذلك لكون الأشعار الشعبية تتميز بخاصيتين مهمتين الأولى أنها عكس لشعر المنفى تحمل إشراقات ثورية وأملا دائما، والثانية أنها تتكيف وتتأثر بشكل كامل مع الأحداث السياسية العربية³.

وخلال فترة قريبة تشكل صراع جديد لأدب المقاومة مع الأدب الصهيوني المدعوم من منظومة الاحتلال والصهيونية العالمية، فقد كان الأدب الصهيوني جزء من حركة ثقافية وأحد الضغوط الأساسية التي تتصدى لأدب المقاومة، فكان يعمل على تشويه صورة العربي ليس فقط أمام الرأي

¹ - غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1967-1984، ص18.

² - غسان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966، ص36.

³ - بنظر: المرجع نفسه، ص36.

الصهيوني من مستوطنين بل أمام الرأي العالمي، وهذا الذي أورده غسان حين قال: " عالميا لا نقاش هناك حول الدور الذي لعبه الأدب الصهيوني في تجميع رأي العام إلى جانب اسرائيل ودعواها"¹؛ فكان الأدب الصهيوني بمثابة الوسيلة التي استطاع بها الصهاينة صنع المظلومية حولهم وتشويه العربي والفلسطيني في رواياتهم التي انتشرت عالمياً بفضل الدعم المادي اللامحدود الذي وفرته لهم الحركة الصهيونية العالمية.

وفي المقابل كان أدب المقاومة يواجه تحدياً كبيراً بسبب سياسات الصهيونية من جهة، ومن جهة أخرى ضعف تمويل الأعمال المقاومة، فخلال سنوات طويلة لم يتم ترجمة سوى عدد قليل جداً من أعمال غسان كنفاي وكل ذلك كان بعد وفاته.

وداخلها في فلسطين المحتلة كان الأدب الصهيوني يحاصر أدب المقاومة العربي ويمنع انتشاره وقد كان لعرب فلسطين صورة مشوهة للمقاومة، حاول تثبيط الحماس الذي كان أدب المقاومة يزرعه في عقول الفتيان والشباب... ورغم كل تلك المحاولات لطمس أدب المقاومة إلا أن الفرق الجوهرى الذي جعل أدب المقاومة يمضي ويستمر هو إيمان الأدباء بفكرة المقاومة "إن أدب المقاومة العربي في الأرض المحتلة بالمقابل يتصور هنا في ميدانٍ أقل قيوداً وأكثر انضباطاً، حيث لا يحتاج إلى افتعال مبرر لحركته ولا لقضيته ولا حتى لعنفه"²؛ وذلك لأن أدباء المقاومة ارتبطوا بقضية عادلة لا تحتاج إلى تبريرات لتأكيد حقهم في مقاومة الاحتلال، وعلى العكس منهم فإن الرواية الصهيونية يحتاج كُتابها إلى تبرير أفعالهم الوحشية وأغلب ما يفعله الروائيين الصهاينة هو تشويه المقاوم العربي والفلسطيني وصفه بالإرهابي، وغيرها من المبررات التي يحاولون بها تغيير النظرة العالمية وحتى العربية للمقاومين وفكرة المقاومة.

تطور أدب المقاومة في فلسطين " مع مرور السنين وضعف السيطرة الصهيونية وتطور وسائل الإنتاج الأدبي الإعلامي الذي أدى إلى انتشار هذا الأدب في كل ربوع الوطن العربي ليس عند الفلسطينيين فقط بل حتى عند بعض الأدباء العربيين الذين شاركوا بأقلامهم بعدة أعمال روائية وشعرية، فالالتزام بالقضية في كتابات الأدباء كان الإطار الذي استطاعوا به قيادة أدب المقاومة إلى

¹ - غسان كنفاي، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966، ص71.

² - المرجع نفسه، ص89-90.

كل الوطن العربي والإسلامي وحتى العالمي، فترجمت أعمال غسان كنفاني إلى نحو 20 لغة عالمية وبقي الشعر سلاحاً قوياً لنشر الوعي المقاوم وفي الأساس فإن أدب المقاومة في فلسطين المحتلة قد حدد دوره بنفسه وبالنسبة لشعراء المقاومة على وجه الخصوص فإن الشعر سلاح - ما في ذلك شك- ولم تكن كفاءته وجدارته بالنسبة لهم إلا التزامه بدوره المقاوم الواعي"¹.

فالشعراء والأدباء المقاومون دافعوا على قضية فلسطين بكل إخلاص وإيمان بعدالة قضيتهم وثبتوا على مواقفهم رغم أن خطر الاغتيال كان حولهم كل يوم، ولعل أبرز مثال كان الروائي "غسان كنفاني" الذي استشهد إثر اغتياله سيارة مفخخة في بيروت، ولم يردع هذا الأمر الأدباء الآخرين في الإنتاج والإبداع لإيصال صوت المقاومة الفلسطينية من جهة وإيقاظ روح المقاومة التي خفتت لفترة من جهة أخرى، ولعل أهم ما ساهموا به هو نشر فكرة الإيمان بالوطن والدفاع عنه مهما كانت التحديات التي سيواجهون.

إن الأفكار التي ييئها أدب المقاومة يؤكد كيف أنه يرتبط بالشعب وخاصة الطبقة الكادحة منها وقد كانت الأغلبية في فلسطين المحتلة وحتى في الشتات، فالعلاقة بين أدب المقاومة والشعب كانت علاقة تأثير وتأثر، فنجد أن أدب المقاومة يتغذى من لهيب الثوار الغاضبين الذين تأججت في قلوبهم نار حب الوطن وتصاعد فيهم الانتماء إلى الأرض بحق الحياة والحرية، يقول "حسين جمعة": "كان الأدب المقاوم رسالة الأدباء والكتاب والمثقفين الملتزمة بالحرية والقيم النبيلة التي نضجت بالوعي والمعرفة المميزة للخير من الشر والفرح من الحزن والأمل من اليأس والقنوط فكانت الشهادة طريق النصر والعزة والكرامة"².

فكان هذا ما زرعه أدب المقاومة بالمقابل في نفوس كل الشعب الفلسطيني سواء داخل الأرض المحتلة أو الذين هم في مخيمات اللجوء والشتات، فكانت هذه العلاقة القوية سبباً متبادلاً لصمود واستمرار كل منهما.

¹ - غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1967-1984، ص 54.

² - حسين جمعة، ملامح الأدب المقاوم: فلسطين نموذجاً، منشورات الهيئة العامة للديعة للكتاب، دمشق (سوريا)، د.ط، 2009، ص133.

يقول "أسامة الأشقر" في تقديمه كتاب "الأدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات" "لعادل الأسطة": "وتتركز مضامين هذا الأدب على قيم البطولة والفداء والصمود والتحدي والثورة والصلابة والشهادة والتمسك بالأرض والمعاناة"¹.

فالواضح أن مضامين وموضوعات أدب المقاومة كانت تمثل تطور لحياة الفلسطينيين خصوصاً في أول سنوات النكبة التي عانى فيها الشعب الفلسطيني أحد أسوء ما يمكن لبشر أن يعانيه من تقتيل وتهجير، وكان الأدب المقاوم بمثابة الحافظ لتاريخ سيقرأ فيما بعد حتى يتعلمه الأحفاد من الأجداد تلك المعاني التي حملها أدب المقاومة، "فملاحم الأدب المقاوم ترتقي في معراج القيم إلى معاني التعبير عن كل ما هو نبيل وسام لتحقيق كرامة الإنسان وحرية وطمأنينته ما يعني استكناه أسرار الحياة المنيرة وخلودها في كل زمان ومكان لأنها تنبثق من مفهوم العزة والحرية والاستقلال والسيادة"².

فأدب المقاومة ليس أدبا جافاً بل هو أكثر أنواع الأدب تشبعا بقيم الإنسان الحر المقاوم الذي لا يرضى بغير العزة سواء شعراء أو روائيين نقلوا ذلك في قصائدهم ومؤلفاتهم وأصبحوا هم رموزاً للمقاومة بالفكر والقلم ومشكلاً مع المقاومة المسلحة وكان هو الدافع للمقاومة المسلحة، فهي كما قال "غسان كنفاني": "ليست المقاومة المسلحة قشرة، هي ثمرة الزراعة ضاربة جذورها عميقاً في الأرض وإذا كان التحرير ينبع من فوهة البندقية فإن البندقية ذاتها تنبع من إرادة التحرير"³، وإرادة التحرير يغذيها الفكر المقاوم الذي ينشره ذباء المقاومة.

3/ رواد أدب المقاومة (نماذج):

3-1/ في الشعر:

كما سبق وذكرنا فإن أول لبنة لأدب المقاومة كانت من الشعر سواء كان منه الفصيحة أو الشعبي واشتهر عدة شعراء فلسطينيين الذين جعلوا من الشعر سلاحاً مقاوماً وكتبوا عن صمود

¹ - عادل الأسطة، أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق (سوريا)، ط2، 2008، ص9.

² - حسين جمعة، ملاحم الأدب المقاوم: فلسطين نموذجاً، ص7.

³ - غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1967-1984، ص9.

الفلسطينيين وطغيان، وعن صلابة وتحدي الشعب الفلسطيني أمام الاحتلال الصهيوني المدعوم من كل قوى الشر العالمية الغربية.

ويمثل الشاعر "محمود درويش" أحد أيقونات التي تشيع للمقاومة الفلسطينية فكتب عشرات القصائد التي تفيض مقاومة وصموداً أو تصويراً لملاحم البطولية الفلسطينية تارة والإجرام الصهيوني تارة أخرى، فصدرت له الكثير من القصائد والدواوين لعل أبرزها ديوان "عاشق من فلسطين" و"أوراق الزيتون" و"يوميات جرح فلسطيني" وغيرها من الدواوين والقصائد الثورية المقاومة، ومحمود درويش هو شاعر الذي أفنى قلمه في سبيل تصوير القضية الفلسطينية بكل مضامينها فصور الحياة الفلسطينية المقاومة والصامدة والفلسطينية المغتربة واللاجئة والأسيرة والمبعد وكل ما حمله قلب كل من عانى من ويلات الاحتلال الصهيوني، فقال عن الاغتراب وآلامه ومرارة بعده وتشرده عن الوطن فقال في قصيدته المشهورة "رسالة من المنفى"¹:

هل يذكر المساء

مهاجراً أتى هنا ... ولم يعد إلى الوطن؟

هل يذكر المساء

مهاجراً مات بلا كفن؟

يا غابة الصفصاف! هل ستذكرين

أنا الذي رَمَوْهُ تحت ظلك الحزين

كأي شيء مَيِّتٍ إنسان؟

وهنا في هذه الأبيات التي تمتلئ حزنًا على فراقه وطنه بنبرة صوت احتجاجية ضد الموت والقتل الهمجي الذي تعرض له ليس جسدياً ولكن الفراق عن وطنه كان عنده بمثابة الموت.

¹ - محمود درويش، الأعمال الأولى، الرئيس للنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، ط1، 2005، ص46-47.

فكان درويش من خلال هذه الأبيات يدفع الاسير والمنفي إلى تحدي الاحتلال، فالمقاومة عنده من الإيمان وهي تذيب مرارة البعد التي شبهها بمراره الحنظل، ومن الأبيات التي صور فيها الصمود والمقاومة حين قال في قصيدته "قمر الشتاء":¹

وأقول للشعراء:

يا شعراء أمتنا المجيدة

أنا قاتل القمر الذي

كنتم عبيده

وقال في قصيدة "نشيد":²

سنصنع من مشانقنا

ومن صلبان حاضرننا وماضينا

سلام للغد الموعود

ثم نصيح يا رضوان

افتح بابك الموصود

وهنا دفع صريح منه إلى القتال والمقاومة وبذل النفس والدماء للمستقبل و التحرير يبنى بتضحيات التي لا بد منها ودماء الشهداء التي لا بد أن تسقى بها أرض فلسطين.

ونسافر في الزمن إلى الحاضر لنسمع عن شاعر المقاومة الفتي "تيم البرغوثي" ولم يكن له إلا أن يكون كذلك فهو ابن اثنين من أعمده أدب المقاومة الروائية "رضوى عاشور" صاحبة "رواية الطنطورة" و"مريد البرغوثي" صاحب "رواية رأيت رام الله".

فكتب "تيم البرغوثي" الكثير من قصائد تنبض للمقاومة وقصائد أخرى تصف حالة الفلسطيني المبعد عن وطنه، ففي أحد أشهر قصائده التي كتبها بعدما لم تسمح له قوات الاحتلال الصهيوني

¹ - محمود درويش، الأعمال الأولى، ص126.

² - المرجع نفسه، ص158.

بالدخول إلى المسجد الأقصى، فكبت يصف حزنه وإجرام قوات الاحتلال الصهيوني، في قصيدته في القدس:¹

مررنا على دار الحبيب فردنا *** عن الدارِ قانونُ الأعادي وسورها
فقلْتُ لنفسي رُبما هي نعمةٌ *** فماذا ترى في القدس حين تزورها
ترى كلَّ ما لا تستطيعُ احتمالهُ *** إذا ما بدت من جانب الدرب دورها
وأبدع في نفس القصيدة واصفا جمال "المسجد الأقصى المبارك" فقال:²

في القدس تعريفُ الجمالِ مُثَمَّنُ الأضلاعِ أزرقُ
فوقه، يا دام عزُّك، قبةٌ ذهبيَّةٌ، تبدو برأبي
مثل مرآةٍ محدبةٍ ترى وجه السماء مُلَخَّصاً فيها

وفي ختام قصيدته وجه كلاما كله صمود ومقاومه لجبروت الاحتلال رغم كل المخططات التي تسعى لتهويد القدس مكانيا وزمانيا فقال:

العين تُغمضُ، ثم تنظرُ، سائقُ السيارةِ الصفراءِ
مالَ بنا شمالاً نائياً عن بابها والقدس صارت خلفنا
والعين تبصرُها بمرآةِ اليمينِ تغيَّرت ألوانُها في الشمسِ، من قبل الغيابِ
إذ فاجأني بسمةٌ لم أدر كيف تسَلَّلت للوجهِ
قالت لي وقد أمعنتُ ما أمعنتُ
يا أيها الباكي وراءَ السورِ، أحقُّ أنت؟ أجننت؟
لا تبك عينك أيها المنسيُّ من متن الكتابِ
لا تبك عينك أيها العربيُّ واعلم أنَّه
في القدس من في القدس لكن لا أرى في القدس إلا أنت³

¹ - تميم البرغوثي، قصيدة في القدس، قناة ساحة AJ+، نشر بتاريخ: 3 فيفري 2020 ، اطلع عليه: 25 مارس 2024.

² - المرجع نفسه.

³ - المرجع نفسه.

وكأنه يقول للاحتلال مهما زاد المستوطنون ومهما زاد الأغراب يبقى العربي الوحيد صاحب القدس وأهلها الأصلاء.

وفي أبيات يصف فيها هوان وجبن الاحتلال أمام جسارة المقاومة فقال: ¹

لقد عرفنا الغزاة قبلكم *** ونشهد الله فيكم البدع
سبعون عاما وما بكم خجل *** الموت فينا وفيكم الفرع
أخزاكم الله في الغزاة فما *** رأى الورى مثلكم ولا سمعوا
ثم تجده يصف تضحيات أهل فلسطين فيقول: ²

يا مدرك الثارات أدرك ثأرنا *** واحفظ على أولادنا أخبارنا
إذ اعتبرنا الموت ضيفا زارنا *** قمنا وقدمنا له أعمارنا
وما استشرناه ولا استشارنا *** نختاره من قبل أن يختارنا

وفي قصيده أخرى يعلي بكلماته رجال المقاومة في غزة فيقول فيهم: ³

نفسي فداء للرجال ملثمين
إذ يطلقون سلاحهم مثل الدعاء يطير من أدنى لأعلى
مثل تاريخ هنا يملي فيتلى
حاصرونا كيفما شئتم
فإن الخبز والتاريخ يصنع هاهنا تحت الحصار
نفسي فداء للشموس تسير في الأنفاق تحت الأرض من دار لدار
حيث الصباح غدا هنا يهرب من يد ليد
بديلاً عن صباح خربته طائرات الظالمين

¹ - تميم البرغوثي، ستون عاما، قناة ساحة +AJ، نشر بتاريخ: 17 ديسمبر 2018، اطلع عليه: 25 مارس 2024.

² - تميم البرغوثي، يا مدرك الثارات، قناة ساحة +AJ، نشر بتاريخ: 7 نوفمبر 2018، اطلع عليه: 25 مارس 2024.

³ - تميم البرغوثي، نفسي فداء، قناة ساحة +AJ، نشر بتاريخ: 21 نوفمبر 2018، اطلع عليه: 25 مارس 2024.

ولا يزال تيمم البرغوث صوت المقاومة الذي بلغ صوته بلاد العرب كلها فكانت قصائده تفيض بكل قيم المقاومة والبطولة لأهل فلسطين في قصائد مثل: "في القدس، يا مدرك الثارات، بيان عسكري، نفسي الفداء، ستون عاما"، وغيرها من القصائد ويزال حبره رطبا يكتب المزيد من بطولات المقاومة وأهل فلسطين.

3-2/ في السرد:

■ **غسان كنفاني:** عند التطرق لأدب المقاومة في النثر يقابلنا مباشرة ذكر أهم اسم في الكتابة الروائية لأدب المقاومة "غسان كنفاني" (1936-1972م) فقد كتب بشكل أساسي أغلب رواياته بمواضيع التحرر الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية، فكانت أعماله متجذرة في عمق الثقافة الفلسطينية ولم يكن "غسان كنفاني" مجرد أديب روائي بل كان سياسيا مميّزا فيشغل منصب الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فوضع كنفاني القضية الفلسطينية أمام عينيه طوال حياته، حتى استشهد في بيروت بعد انفجار سيارة مفخخة وترك وراءه الكثير من الأعمال التي أضحت مرجعية تلخص النكبة ومعاناه الغربية.

وكتب "غسان كنفاني" عن الظروف الصعبة للاجئين في المخيمات ففي روايته "موت سرير رقم 12" كتب كيف يتحول الغرباء إلى أرقام بالمنافي ويعيشون حالة الوحدة دون تفكير في حل جماعي بالعودة، وفي روايته: "رجال في الشمس" و"ما تبقى لكم" يؤكد أن لا حل للعودة إلا بالعمل الجماعي والمسلح فقد كان مدركا وواعيا لحقيقة أنه لا يمكن الاعتماد على فكره أن الدول العربية ستحارب لعودة الفلسطينيين، وكتب روايته "أم سعد" لوصف حالة المخيمات وكذلك لوصف حالة المقاومين بعد النكبة، فكان كنفاني الأديب الذي حول الأدب إلى كلاشينكوف والكلمات إلى طلقات جارحة.

ومن مؤلفاته أيضا: "رواية عائد إلى حيفا، رواية أرض البرتقال الحزين، رواية عالم ليس لنا، رواية عن الرجال والبنادق"، وغيرها من الأعمال المسرحية والقصصية.

■ **عبد الله البرغوثي:** يعتبر الأسير "عبد الله البرغوثي" أحد أكثر الروائيين إنتاجا لأدب المقاومة في الوقت الحالي رغم وجوده داخل السجون الصهيونية منذ أكثر من 20 سنة قضا أغلبها في العزل الانفرادي، فكان من الروائيين القلائل الذين جمعوا في أعمالهم بين أدب المقاومة وأدب السجون وكمثل غسان لم يكن أديبا وحسب، بل كان أيضا قبل ذلك أحد قادة كتائب الشهيد عز الدين

القسم في الضفة الغربية بل إنه كما قال في روايته "أمير الظلام": "لست كاتباً محترفاً فأنا مجرد مقاوم عشق إطلاق الرصاص إلى صدور بني صهيونية وعندما غر الرصاص في بندقية لم أجد سوى الرصاص في قلبي"¹؛ "عبد الله البرغوثي" قبل أن يكون أدبياً كان مقاوماً عاش وعرف معنى قتال بني صهيون وفي روايته "مهندس على الطريق: أمير الظل" حكى لنا قصة حياته النضالية في جعل أيام الصهاينة سوداء، وكيف كان يتلاعب بجهاز المخابرات الصهيونية الموساد وكيف جهز الكثير من العمليات ضد المستوطنين في كل مكان وصلته يده فكان يلقب المهندس وأمير الظل الرجل الذي ضج مضاجع بني صهيونية ولم يترك لهم مجالاً للتنفس حتى بعد اعتقاله بقي يقاوم بقلمه.

■ نرددين أبو نبعة: تعد نارددين أبو نبعة من الأقلام النسائية التي أبدعت في أدب المقاومة فكتبت: رواية "باب العمود سنة 2017م"، رواية "سبع شداد سنة 2019م"، رواية "رب إني وضعتها أنثى سنة 2013 م"، رواية "قد شغفها حبا سنة 2018م".

ثالثاً- أدب السجون:

ظهر أدب السجون كنوع من التعبير عن الظلم الذي يعانيه السجين داخل الزنازة، وعادة ما يكون الكتاب في هذا المجال شخصيات أدبية رفيعة أو سياسية، وحتى شخصيات عسكرية خاصة في الدول التي تعاني أو عانت من ويلات الاحتلال، مثل الجزائر سابقاً وفلسطين حالياً وبشكل عام يُعتبر أدب السجون وسيلة لتوثيق الحقبة التي عاشها الكاتب سواء كان داخل السجن أو بعد خروجه، حيث يصف فيها ظروف سجنه أو حياته السابقة أو غيرها من المواضيع التي يتناولها الكتاب في إبداعاتهم.

1/ مفهوم أدب السجون:

وفي مفهوم أدب السجون لا يزال الاختلاف في تعريفه بين من يراه الأدب الذي كتبه السجناء وبين من يراه الأدب الذي أبطاله سجناء، وبين من يرى أنه الأدب الذي يعتبر السجن مادته الخام.

¹ - عبد الله غالب البرغوثي، مهندس على الطريق: أمير الظل، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2005، ص3.

فالبحت في عنوان هذا الأمر نجد أن كل الشؤون السابقة قد مرت في كثير من الإبداعات والأعمال الموسومة تحت أدب السجون.

ويقول "الشيخ ياسر السري" في تقديمه لكتاب "الأكف الممزقة لزكريا بوغرارة" عن أدب السجون "على أنه نوع من أنواع الأدب المعني بتصوير الحياة خلف القضبان وأسوار السجون والمعتقلات، يناقش الظلم الذي يتعرض له السجناء والمعتقلون والأسباب التي أودت بهم إلى السجن، حيث يقوم السجناء أنفسهم بتدوين يومياتهم وكل ما مروا به من أحداث بشعة داخل السجن"¹؛ ويرى ياسر السري أن أدب السجون هو بالأساس أدب يكتبه بالضرورة السجناء عن ظروف اعتقالهم وسجنهم وما تعرضوا له من ظلم داخل السجون، ويرى كذلك أدب السجون بمثابة التوثيق التاريخي لمعاناة السجناء والمعتقلين داخل زنزاناتهم.²

وكذلك ينقل "رأفت حمدونة" عن "الأديب الفلسطيني شعبان حسونة" وهو صاحب العديد من الأعمال في أدب السجون، قوله: "هو الأدب الذي يكتبه الأسرى في المعتقلات ويستوفي الحد الأدنى من الشروط دائماً يكتب عن السجون والأسرى خارج السجن لا يدعم أدب السجون، ويمكن تسميته أدب عن السجون"³؛ هذا التعريف يتوافق إلى حد ما مع التعريف السابق غير أنه يفصل أكثر في الأعمال التي كتبت خارج السجن عن السجن والسجناء، ويرى أنه "أدب عن السجون"، ولم يفصل كثيراً في فقد تكون الموضوعات عن السجون أو الموضوعات التي تُكتب داخل السجون، فقد تكون الموضوعات عن السجون أو حتى عن حياتهم خارج السجن وغير ذلك من المواضيع التي قد يكتبها الأسير.

ويرى "وليد الهودي" أن أدب السجون هو "ما يكتبه الأسرى داخل السجون أو ما كتبه الأسرى في مذكرات بعد التحرر، أو ما كتب عنهم وعن السجون من غيرهم في مجالات الرواية والقصة

¹ - زكريا بوغرارة، الأكف الممزقة (مجموعة قصصية)، مؤسسة إسلاماء للإعلام، د.ب، ط1، د.ت، ص5.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص6.

³ - رأفت خليل حمدونة، الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية في الفترة ما بين 1985 إلى 2015م (دراسة بحثية)، وزارة الإعلام الفلسطينية، ط1، 2018، ص164.

والشعر والمسرحية والخطرة وألوان الأدب الأخرى، ولا يشتمل أدب السجون على إنتاجات الأسرى من الدراسات والأبحاث والكتب في مجالات غير الإنتاج الأدبي¹.

وهنا يؤكد صاحب رواية "ستائر العتمة" أن أدب السجون قد يكون أي أعمال كتبت من خارج السجون عن السجون أو عن أسرى آخرين، وأيضاً الروايات أو المذكرات التي كتبها الأسرى بعد تحررهم أو خلال فترات اعتقالهم.

وأدب السجون هو أدب الحرية وأدب نشأ وترعرع على محك السجون و وفق التحديات القاسية، كما أنه بدون شك يشكل جزءاً مهماً من أشكال النضال والمقاومة في معركة الوعي وتتميز التجربة الفلسطينية في أدب المعتققات كما يُفضّل الكثير من الأدباء الفلسطينيين تسميتها، فيقول عنها الشاعر الفلسطيني "ياسر علي" يتميز أسلوب الأسرى الفلسطينية بميزتين أساسيتين:²

1. أنه عن أدب الأسرى أو أدب المعتقلات وليس عن أدب السجون، فالسجون تضم أنواعاً عديدة من المعتقلين كالمهريين والجنائين والقتالين المحرّمين، أما أدب الأسرى فيتضمن موضوعاً وطنياً سياسياً وتضحية بالعمر من أجل قضية إنسانية.

2. أن أدب الأسرى لا يكتبه الأسرى فقط، بل يكتبه الأحرار عن الأسرى.

وهذا تأكيد آخر أن أدب المعتقلات أو أدب الأسرى أو أدب السجون هو وليد السجون، وجل موضوعاته تكون في صالح القضية الإنسانية في هذه الحالة القضية الفلسطينية. لذلك يقول الأسير المحرر الفلسطيني "فايز أبو شمالة" صاحب كتاب "السجن في الشعر الفلسطيني" إن "أدب السجون هو كل ما له علاقة بالوجدان والعاطفة الإنسانية والتعبير عن ذلك فينا"³؛ فالمشاعر التي تختلج الأسير خلال فترة اعتقاله وظروف التعذيب الصعبة التي يتعرض لها تزرع فيه تلك الروح التي تجعله يكتب عن تلك المعاناة التي مر بها داخل زنزانه؛ ويقول الأديب الجزائري "واسيني الأعرج"

¹ - رأفت خليل حمدونة، الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية في الفترة ما بين 1985 إلى 2015م (دراسة بحثية)، ص164.

² - ياسر علي، أدب الأسرى الفلسطيني: تاريخ ومراحل، موقع مؤسسة العودة الفلسطينية، 2019.

³ - رأفت خليل حمدونة، الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية في الفترة ما بين 1985 إلى 2015م (دراسة بحثية)، ص164.

في مقال نشره على موقع "القدس العربي" يشكل أدب السجون "لحظة تاريخية حادة يتم فيها اختبار قدرات الإنسان على تحويل الألم والفقدان والعزل إلى لغة لا تهم الكاتب وحده الذي يحولها إلى وسيلة للتحرر والخروج من دائرة الضيق، ولكن تهم القارئ أيضاً بدرجة أنهم من خلال هذا الأدب يتعرف القارئ على حياة أخرى غير تلك التي يعيشها هو حرّاً طليقاً ويستمتع بالشمس كل صباح"¹؛ فأدب السجون ورسالة من الكاتب الأسير المقيّد في زنازين الظلم إلى القارئ الحر، رسائل تحمل في طياتها المعاناة التي يتحملها الأسرى خلال سنوات من القهر والعزل والألم والفقدان.

2/ نشأة أدب السجون:

لا يختلف أدب السجون عن أدب المقاومة كثيراً، فهو أدب وُلد من رحم المعاناة داخل سجون الظلمة. وبخلاف أدب المقاومة، فإن أدب السجون ليس وليداً للعصر الحديث، بل هو قدم قدم وجود السجون وقدم وجود الظالمين وطوال التاريخ كتب الأدباء في شرق الأرض ومغربها عن السجون أو من السجون ولنعلم مدى قدم أدب السجون، ففي أوروبا يعتبر كتاب "عزاء الفلاسفة" "لبوثيوس" عام 524م²، أحد أهم الأعمال في أدب السجون وأكثرها تأثيراً على أوروبا، وفي التاريخ العربي تُعدّ قصيدة "عبد يغوث بن وقاص الحارثي" (578م-618م) واحدة من أشهر القصائد في أدب السجون والتي كتبها عندما وُقع أسيراً عند بني تميم، وقال في بعض أبيات قصيدته:

3

أَقُولُ وَقَدْ شَدَّوْا لِسَانِي بِنَسْعَةٍ *** أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا عَنْ لِسَانِيَا

أَمْعَشَرَ تَيْمٍ قَدْ مَلَكَتُمْ فَأَسْجَحُوا **** فَإِنَّ أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا

فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بِي سَيِّدًا **** وَإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِي.

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعًا **** نَشِيدَ الرُّعَاءِ الْمُعْزِينَ الْمَتَالِيَا

¹ - واسيني الأعرج، أدب السجون: الحالة الفلسطينية، موقع القدس العربي، 21 مارس 2023.

² - كاميليا حسين، "جدران العزلة مع سن القلم" .. لماذا يجب أن نقرأ في أدب السجون، موقع الجزيرة نت، 2021/12/5، سا

8:38 بتوقيت مكة المكرمة

³ -.

وَتَضَحَّكَ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ **** كَأَن لَّمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا

وكانت قصيدته من أقوى القصائد معنى أكثرها شهرة له، حيث إنه قالها لحظات قبل مقتله وحتى عصرنا الحالي لا يزال الأدب العربي سواء شعراً أو نثراً يزخر بعشرات الأعمال التي تتناول أدب السجون. ويقول "عمار علي حسن": "ومع تواصل القمع، صار السجن السياسي واحداً من الموضوعات الرئيسية للأديب العربي المعاصر"¹؛ فالظلم والقمع هو أحد أهم أسباب الكتابة في أدب السجون والوطن العربي المليء بأنواع وأصناف الظلم التي جعلت الأدباء يكتبون عن تلك الظروف التي عاشوها أو عاشها آخرون.

ومن ذلك الروايات التي تناولت سجن تدمر السوري أحد أكثر السجون العربية قسوة، فكتب "مفيد نجم" روايته "أجنحة في زنزانته" وروايته "شاهد ومشهود" "لأحمد سليم حماد"، وكذلك كتب "مصطفى خليفة" روايته "القوقعة"، وفي المغرب كتب "أحمد المرزوقي" روايته "الزنزانة رقم 10" عن سجن تازمامرت، وفي الأردن كتب أيمن العتوم عدة روايات اشتهرت كثيراً، ولعل أشهرها رواياته "يسمعون حسيصها"، وكذلك روايته الشهيرة جداً عن تجربته "الجندي أحمد الدقاسمة" الذي سجن بسبب قتله مجندات صهيونيات عند الحدود بين الأردن وفلسطين، فكتب عنه روايته "اسمه أحمد" والكثير جداً من الروايات تتناول أدب السجون في كل بقاع وطننا العربي.

ومن التجارب النسائية الروائية المهمة الأعمال التي كتبتها "الرواة هبة دباغ" عن سجون سوريا والمعنونة بـ "خمس دقائق وحسب"، وهي تروي فيها قصتها بعد أن استُعيدت لمركز الشرطة لما قالوا لها أنها ستكون خمس دقائق فقط، لكنها قضت بعد ذلك تسع سنوات كاملة في السجن.

وفي الجزائر نجد شاعر الثورة الجزائرية "مفدي زكريا" قد نظم أحد أعظم قصائده في أدب السجون، وهي قصيدة "الذبيح الصاعد" والتي نقل "محمد ياسين رحمة" عن الناقد "حسن فتح الباب" في كتابه "مفدي زكريا، شاعر الثورة الجزائرية" قوله ورأيه في قصيدة الذبيح الصاعد: "تستحق هذه القصيدة أن تُدرج في عداد مآثورات الشعر العربي الحديث لا في الجزائر فقط، بل في

¹ - عمار علي حسن، النص والجدران تجربة السجن في الأدب العربي المعاصر، تح: شعبان يوسف، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة (مصر)، د.ط، 2017، ص34.

البلدان العربية جميعاً¹؛ فقد مثلت القصيدة التي صور فيها الشهيد "أحمد زبانة" في سجنه ومشهد استشهاده تحت نصل المقصلة إبداعاً ليس له مثيل، وأي قارئ للقصيدة تملكه الرهبة وهو يتمثل الشهيد أحمد زبانة وهو يساق إلى ساحة إعدامه بعزة وشموخ وتحدي للاستعمار الفرنسي، ومن أبيات تلك القصيدة نستحضر:²

قام يختال كالمرسح وئيدا

يتهادى نشوان، يتلو النشيدا

باسم الثغر، كالملائك، أو كالطـ

ـ طفل، يستقبل الصباح الجديد

شامخاً أنفه، جلالاً وتيهاً

رافعاً رأسه، يناجي الخلود

وفي قصيدة أخرى نظمها داخل أسوار سجن بربروس الذي سيق إليه سنة 1955م، نظم مفدي زكريا قصيدته "زنزانة العذاب رقم 73"، حيث يقول في آخر أبياتها ساخراً من السجن:³

وأنت يا سجن لو أفلت ناصيتي ***** رأيتني بخطوط النار ألتحق

حسبي وحسب أناس قد غدوا لهم ***** عودا يعطرهم ذكرى وأحترق

وهناك الكثير من الأدباء والشعراء الجزائريين الذين ذاقوا ويلات السجون الفرنسية وكتبوا عنها، وربما لا توجد تجربة تشبه التجربة الجزائرية سوى تلك التي خاضها الفلسطينيون في سجون الاحتلال الصهيوني والتي سنتطرق إليها بشكل مفصل لاحقاً.

¹ - محمد ياسين رحمة، أصوات شعرية جزائرية تحدث سجون الاستعمار، موقع الأيام NEW، 8/1/2023.

² - مفدي زكريا، اللهب المقدس، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2007، ص17.

³ - المرجع نفسه، ص30-31.

3/ التجربة الفلسطينية في أدب السجون:

تعتبر التجربة الفلسطينية في أدب السجون تجربة فريدة ومميزة ولعل أقرب تجربة لها في العصر الحديث هي التجربة الجزائرية في الاعتقال داخل سجون المحتل الفرنسي، فالاعتقال في سجون المحتل يختلف تمامًا عن الاعتقال لدى سلطات بلدك مهما كانت القسوة التي تمارس هناك، فالسجان المحتل يطبق قوانين لا تفرق بين أي سجين والقوانين الصهيونية بالخصوص تتمرد على كل المواثيق الدولية رغم رسائل عشرات المنظمات الحقوقية.

فحسب رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين "قدورة فارس" فإن عدد الأسرى في سجون الاحتلال الصهيوني بلغ حتى أبريل 2024 حوالي 12,000 أسير، دون الأسرى غير المعلن عنهم من المختطفين من غزة، بين هؤلاء الاثني عشر ألف أسير هناك أطفال، نساء، سياسيون، وأدباء، وطلاب جامعات. يتفرق هؤلاء بين من لديهم أحكام خيالية مثل: "الأسير عبد الله البرغوثي" صاحب أغرب وأعلى حكم في التاريخ بـ 67 مؤبدًا و5200 سنة¹، وأسرى قضوا سنوات بدونهم ولا محاكمة، وأسرى ضاعوا سنوات من عمرهم في السجون مثل: "الأسير نائل البرغوثي" الذي قضى حوالي 45 سنة داخل سجون الاحتلال.

وتاريخ أدب السجون في فلسطين يمتد إلى سنوات قبل النكبة، خاصة في كتابات شعراء ذلك الوقت مثل: "محمود درويش" و"سميح القاسم" وغيرهما، لكنه لم يظهر بشكل واضح إلا بعد النكبة، حيث تغيرت عدة عوامل ساهمت وساعدت الأسرى على كتابة الأدبية، ومن بين أبرزها السماح بدخول الكتب الأدبية للسجون في عام 1972م خلال كل تلك العشرية، فدخول الكتب الأدبية خاصة الروايات العالمية، زرع حب القراءة والكتابة في كثير من الأسرى، من ناحية أخرى نمت قوة الحركة الوطنية الأسيرة وزادت من أساليبها القانونية والفكرية وحتى الجماهيرية للحد من قمع الأسرى.

بدأت السلطات في السماح بدخول التلفزيون وظهرت مجلات من داخل السجون، ثم نُشِرت أعمال بعض المعتقلين، مما دفع العديد من الأسرى إلى التفكير في الكتابة والإبداع من داخل سجونهم

¹ - عبد الله راغب البرغوثي، مهندس على الطريق: الشهيد الحي، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2016،

على الرغم من قلة الوسائل والأدوات، حيث كان من النادر السماح للأسرى بإدخال الأوراق والأقلام إلا في حالات نادرة " فخطّ الأسرى كتاباتهم على رسائل غير تقليدية، فمنهم من كتب على مغلفات الأوراق للأغذية التي يسمح لهم بشرائها من مقصف السجن، وآخرون أخفوا الأقلام التي كانت توزع عليهم مرة في الشهر لكتابة رسائل لإلهامهم، فتحملوا العقاب بشجاعة من أجل تدوين تفاصيل حياتهم"¹؛ فقد كان الأسرى لا يبدعون فقط في كتاباتهم بل حتى في وسائل وطرق وأدوات الكتابة وتهريب كتاباتهم تمثل إبداعاً وعبقريّة منقطعة النظير.

فنقل ما كتب الآخرون خاصة السجناء ذوي الأحكام العالية والأسرى الذين يعتبرهم الكيان الصهيوني خطرين، ومثال ذلك "الأسير عبد الله البرغوثي" الذي قال في كتابه **مهندس على الطريق: الشهيد الحي** أحد الطرق التي كان يهرب بها أعماله، فقال: "المال كان سلاحاً استعملته بحكمة ومكرًا من أجل تهريب الأوراق وإيصال الأفكار فعلى سبيل المثال "كتاب الحمساوي" وهو الكتاب الأول في مجموعة أقلام البندقية، فقط كلّف إخراجها إلى النور بعد أن كتب في عتمة قبر العزل الانفرادي أكثر من 15,000 دولار، وتم ذلك عبر التهريب بواسطة كاميرا تصوير صغيرة الحجم إلى داخل زنزانته المعزولة، ثم قام بتصوير أوراق كتاب الحمساوي وتهريب بطاقة ذاكرة التي خزنت عليها الصور، وكان حجم تلك الفلاشة هو الأصغر بحيث لم يتجاوز حجمها الأظفر الصغير في الإصبع الأصغر من أصابع الطفل الصغير"²؛ هذه الطريقة العبقريّة التي استعملها في تهريب أحد كتبه بقيت سرية إلى أن كشف عنها في كتابه، فلم يستطع أحد من السجناء العثور على الكاميرا حتى بعد نقله من زنزانته التي كتب فيها الكتاب.

داخل السجن ساهمت "الحركة الأسيرة" في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى السجناء في مواجهة سعي إدارة مصلحة سجون الصهيونية لطمس كل بذرة عمل إبداعي وتخطيط إمكانيات السجناء وتحويلهم إلى جسد بلا عقل ولا روح؛ فكان هنا دور الحركة الوطنية الأسيرة في دعم السجناء والوقوف بجانبهم، وذلك عن طريق التشجيع والتحفيز.

¹ - مها نشوان، أحاديث السجن... عن الأدب الفلسطيني في معتقلات الاحتلال، موقع نون بوست، 1 جويلية 2022.

² - عبد الله غالب البرغوثي، مهندس على الطريق: الشهيد الحي، ص 91.

يقول الأسير المحرر "عبد الحق رمضان شحادة" في شهادة نقلها عنه "رأفت حمدونة" عن طريقة تحفيز السجناء بإدخال المواد التعليمية للسجون، فيقول: "وجد الباحثون علاقة بين الحالة النضالية وإدخال المواد التعليمية والثقافية للسجون، وبين نشوء حالة الإبداع للأسرى واعتبروا أن التشجيع على الكتابة وإنشاء المجالات الأدبية التي أشرف عليها أساتذة في اللغة العربية والنقد الأدبي تعتبر وسائل محفزة للأسرى الجدد على التطور"¹؛ فالتشجيع على القراءة والمطالعة يولد عند الأسير حب الكتابة مما أنتج لنا عشرات الأعمال من داخل السجون هذا من جهة.

ومن جهة أخرى ساعدت الحركة الأسيرة في اكتشاف قدرات الأسرى وتطويرها، وكذا إيجاد بيئات وسائل إبداعية ملائمة تساعد الأسرى في الكتابة² مثل: عقد دورات لتعليم اللغات خاصة العبرية، إدخال الكتب إلى السجن وتهريب وسائل الاتصال، كما ساعدت الحركة الأسيرة الأسرى لصياغة برامج تخريج الكوادر والكفاءة المبدعة³؛ حيث كل فصيل كبير يمتلك جهاز ثقافي يهتم بتخريج الأسرى في كل المجالات خاصة السياسية، كما اهتمت الحركة الأسيرة بالرياضة حيث يمارسون الرياضة في ساحات السجون.

كما بدد الأسرى مخططات الأجهزة الأمنية الصهيونية بعزل الأسرى عن المحيط الخارجي بتوفير وسائل الاتصال فأصبحت رسائل معتقلين تصل إلى الخارج، حيث أن عبد الله البرغوثي تمكن من الاتصال سنة 2018 بإذاعة الرأي الفلسطينية بهاتف خلوي هُرب إليه وتسبب ذلك بنقله إلى الحبس الانفرادي مجدداً حيث سببت هذه الحادثة حرجاً بالغاً للسلطات الأمنية الصهيونية⁴؛ فما فعله البرغوثي يعتبر سابقة هي الأولى في تاريخ مصلحة سجون الصهيونية، سببت احراجاً كبيراً للسلطات الصهيونية حيث اتصل بإذاعة الرأي لمدة أكثر من أربع دقائق بشكل مباشر.

قد يطرح أحد السؤال: لماذا يكتب الأسير؟، وماذا يعني أدب السجون بالنسبة له؟ وماذا تعني الكتابة للأسير في عتمة الزنزانة؟، يجيب عنها الأسير والكاتب "الروائي عمار الزين" المحكوم بـ ستة وعشرين مؤبداً بقوله: "ماذا يعني أن تكتب أدباً أو قصصاً أو سميّه ما شئت ولا زال الأسر مستمراً؟،

¹ - رأفت خليل حمدونة، الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية في الفترة ما بين 1985 إلى 2015م، ص110.

² - ينظر: المرجع نفسه، 110-111.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص114.

⁴ - قناة الجزيرة، نشر بتاريخ: 1 جويلية 2015، اطلع عليه بتاريخ: 5 أفريل 2024.

سؤال لطالما اقتحم صفحاقي البيضاء، فكل ما يقرأه المرء من حكايات جميلة يحمل بعضها رائحة السجون، وتكون في غالبها فعلاً ماضياً من حيث الزمان والمكان خطتها أصحابها بعد أن تطهرت أجسادهم قبل أقلامهم من جدران الزنازين، وراحوا يستعيدونها من وحي الذاكرة لا أعيب ذلك مطلقاً، وإن كنت أراها قد فقدت شيئاً من توريثها أو عذريتها أو لعلني أنتم وأنا لا أدري لعلني صناعة تحكي في الهواء دون أن تدوس البساطير على رأس كاتبها فلكلمات نشوة يشعرها الهارب بها عندما تلاحقه أصابع السجن، وهي تعبت بين الأوراق تبحث عن أحرف الثورات ولا خير في صانع كلمات لا ينشدها وهو يشهد اغتصابها في مجالات التفتيش¹؛ فالأسير يكتب ليعيش بكلماته وأعماله خارج السجن حتى وإن كان جسده بين أربعة جدران في غرفة مظلمة لا يرى فيها النور إلا مرة في اليوم وقد لا تسنح لبعض الأسرى الفرصة أبداً برؤية النور مرة أخرى، فكم من أسير استشهد بين تلك الجدران.

يقول "فراس حج محمد" في كتابه "تصدع الجدران": "سيجد القارئ أن كاتب السجن ككتاب الخارج لا يكتبون من أجل المتعة أو تمضية الوقت، وليست الكتابة إذاً نوعاً من الترف بل تكتسب الكتابة لديهم أهمية وجود في توازي أهمية الحرية ذاتها أو الحياة نفسها في مقاومة مظاهر الاضطهاد والتعالي ما أمكن على السلطة وعلى تلك الظروف التي وضعوا فيها جبراً عنهم²؛ فالأسير يكتب يخلد يُسمع الأحرار عن معاناة الأسرى والتحديات التي تواجههم بل إنه أحياناً يكتب ليحفز الأحرار على عدم الرضا بالاحتلال أو الظلم فيزرع في نفس القارئ تلك الشرارة المقاومة قد تلتهب في أي لحظة.

ويقول "فايز أبو شمالة" في مقال على موقع الجزيرة نت: "مثل الشعر حالة راقية من الإبداع الفني وراء القضبان، ولا سيما في مرحلة الانتفاضة الأولى حيث أسهم شعر الأسرى في تعزيز الروح الوطنية وبث الغضب والثورة في عروق الشعب بما يحمله من تطور وتحدي وانتماء خالص للشعب والقضية"³.

¹ - ضرار محمد الحروب، أدب السجون... حرية القلم، موقع الجزيرة نت، 2017/3/30.

² - فراس حج محمد، تصدع الجدران: عن دور الأدب في مقاومة العتمة، جسور الثقافية للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2023، ص 34.

³ - وضاح عيد، أدب السجون الفلسطيني بحاجة للإنقاذ والجمع، موقع الجزيرة نت، 2006/12/14.

فالأسير يمكنه أن يشعل الشارع من داخل سجنه، لهذا يتعرض الأسرى لتضييق كبير جداً لمنعهم من إخراج أي كلمات خارج السجن.

يقول "واسيني الأعرج" عن الدور التاريخي لأدب السجون في فلسطين بقوله: "هذا النوع من الأدب (أدب السجون) أصبح ظاهرة في فلسطين بل كياناً مستقلاً يعبر عن لحظة تاريخية شديدة الحساسية، فقد برز كثير من الكتاب الأسرى في السجون الإسرائيلية الذين سجلوا يومياتهم الصعبة وسيرتهم وكتبوا عن محنة الحرية التي لم تعد فعلاً سهلة في عالم ظالم لا يلتفت نحو الفلسطيني، بل في ظل نسيان كلي لقضية ما يزال كثير من الذين تسببوا في جراحها أحياء"¹.

فأدب السجون هو بمثابة التأريخ للأسرى المعتقلين في زنازين الاحتلال الصهيوني منذ النكبة وحتى اللحظة، حيث لا يزال الأسرى يوثقون واقع السجن المرير وما يحدث لهم من تعذيب وتنكيل ليس له مثيل.

ويقول الأسير المحرر "علي المغربي" في حديث لموقع الجزيرة نت: "الكتابة داخل سجون الاحتلال بكافة مسمياتها وأشكالها إحدى أنواع مقابلة يؤس الحياة وظلم السجن، بإيجابية النظر وإيجابية التعبير"²، ويضيف "ما يكتبه الأسرى يعبر عن صورة حية وواقعية لما يجري داخل سجون الاحتلال..."³.

فالأسير بالكتابة يعبر عن مشاعر تختلجها فيكتب عن الحرية وأوضاع الأسرى وعن الاشتياق للأهل وهناك من يكتب عن شوقه للمقاومة خارج أسوار السجن كلها مواضيع تختلج مشاعر الأسير الأديب، بل وأحياناً تعتبر تلك الكتابات أحد أهم الوسائل التي تكشف ممارسات وجرائم الاحتلال داخل السجون اتجاه الأسرى.

4/ نماذج من أدب السجون الفلسطيني:

4-1/ الشعر:

¹ - واسيني الأعرج، أدب السجون: الحالة الفلسطينية، موقع القدس العربي، 21 مارس 2023.

² - حنين ياسر، أدب السجون صورة حية لمعاناة الأسرى الفلسطينيين، موقع الجزيرة نت، 17/04/2019.

³ - المرجع نفسه.

يُعتبر الشعر في السجون أول ما كان يُكتب في أدب السجون، حتى قبل النكبة في قصائد كثيرة لـ "محمود درويش" أو "سميح القاسم" وغيرهم من الشعراء الذين تذوقوا مُرارة السجون الصهيونية، "فمحمود درويش" أمير شعر المقاومة الفلسطينية تذوق مُرارة سجون الصهيونية في الستينيات قبل أن يُهاجر، فكتب قصائد بقيت خالدة منها قصيدة "أحن إلى خبز أُمي" وقصيدة "برقية من السجن"

التي قال في إحدى أبياتها: ¹

من آخر السجن طاردت كفّ أشعاري
تشد أيديكم ريحاً... على نار
أنا هنا، ووراء السور، أشجاري
تُطوّع الجبل المغرور... أشجاري
مذ جئتُ أدفع مهر الحرف ... ما ارتفعت
غير النجوم على أسلاك أسواري
أقول للمُحكّم الأصفاد حول يدي:
هذي أساور أشعاري وإصراري

فهذه القصيدة تعبر عن مدى صموده داخل السجن وصمود أهل فلسطين مثل الأشجار الثابتة، بل ويجعل من أصفاده كالأسوار التي تزين الشعر وقصائده التي يقولها كنوع من مقاومة السجن والسجان.

وفي قصيدته الأخرى (نشيد) يقول: ²

رموا أهلي إلى المنفى
و جاؤوا يشترون النار من صوتي
لأخرج من ظلام السجن..
ما أفعل؟

¹ - محمود درويش، الأعمال الكاملة، ص115.

² - المرجع نفسه، ص166.

تحدّ السجون و السجّان

فإن حلاوة الإيمان

تذيب مرارة الحنظل

فكان درويش في هذه الأبيات يدفع الأسير إلى تحدي الاحتلال، فالمقاومة عنده من الإيمان وهي
تذيب مرارة البعد والسجن التي شبهها بالحنظل

وكتب "سميح القاسم" قصيدته "رسالة المعتقل":¹

أومن يا أمّاه

أومن.... أن روعة الحياة

اولد في معتقلي

أومن أن زائري الأخير.. لن يكون

خفّاش ليل.. مدلجاً، بلا عيون

لا بدّ.. أن يزورني النهار

الأبيات تنطوي على تحدي السجن والسجان وتفاؤل ثوري عميق بقرب الحريات، وكتب شيخ
الأقصى رائد صلاح ديواناً كاملاً من القصائد في السجن وتحت وطأة التعذيب، فسماه "زغاريد
السجون"، تكلم فيه عن حياة الأسير وظلام الليل وآماله ومشاعره من فرح وحزن وشوق، وتمسكه
بجبل الإيمان والصبر على مآسي السجن وعذابه، فكتب في قصيدته "إلى شهداء هبة الأقصى":²

السجن والقضبان للعدم

وزحوف جند الله للقمم

قد هل حرا شامخ المهم

فتقدموا يا صفوة الأمم

¹ - سميح قاسم، ديوان سميح قاسم، دار العودة، بيروت (لبنان)، د.ط، 1987، ص 98.

² - ربما حاج يحيى، قراءة في "زغاريد السجون" للشيخ رائد صلاح، محطة إضاءات، 2023/03/1.

يا إخواني الشهداء بالقلم

قوموا ارفعوه مخضبا بدم

في القدس رغم القهر والألم

أبيات مليئة بالمقاومة كلها صمود في وجه المحتل وتأكيد على وجوب رفع راية الجهاد من أجل القدس والأقصى.

وقبل حوالي ثلاث سنوات ألقى الأسير "أيهم كممجي" أحد الأسرى الستة الذين فروا من سجن جلبوع، قصيدة وهو محاط بشرطة الاحتلال الصهيوني قال إنه كتبها من زنزنته، فقال فيها:¹

مَرَجَ ابْنِ عامرٍ قُمْ وَحَدِّثْ قِصَّةً **** أبطالها نفروا إلى الرحمن

ما هَمَّهم قيد الطغاة وسجنهم **** عافوا قيودَ الذلِّ والحرمانِ

فاحرُّ يَأْي أن يكونَ مُقَيِّداً **** والصقرُ يَأْنفُ ذَلَّةَ الحِرفانِ

زنزانتِ مَترٌ بَمَترٍ طُولُها **** ولَعَرَضِها زِدْ نِصفَ مَترٍ ثانٍ

لكنْ عِزائِي أنْ لي في غِزَّةٍ **** إخواننا وفي أسْرِهم غِربانٍ

هذه القصيدة تعبر عن إرادة الحرية التي تتاب الأسير في زنزنته الضيقة ويتأمل في إخوانه في غزة الذين يملكون في أسرهم جنوداً صهاينة من أجل تبادلهم مع الأسرى الفلسطينيين في سجون ومعتقلات الاحتلال الصهيوني.

وفيما يلي مجموعة من القصائد والدواوين التي خطها الأسرى من السجون الصهيونية:

- أحمد العارضة: ديوان "خلل طفيف في السفرجل".
- محمود درويش: بعض القصائد من ديوان "درب الخبز والحديد".
- الشيخ رائد صلاح: ديوان "زغاريد السجون"

¹ - قناة تلفزيون فلسطين، نشر بتاريخ: 6 ديسمبر 2021، اطلع عليه: 10 أبريل 2024.

– عدنان الصباح: ديوان "درب الخبز والحديد"

– محمد أبو لبن: ديوان "أيام منسية خلف القضبان".

2-4 السرد:

في الرواية صدرت للأسرى العشرات من المؤلفات التي أبدع الأسرى فيها، ولعلّ أبرز تلك الأسماء بعد النكبة كان الروائي والأديب "إبراهيم الزنط" المعروف بغريب عسقلاني، والذي أنتج من سجنه العديد من الروايات أبرزها "الطوق"، "زمن الانتباه"، "نجمة النواقي"، "جفاف الحلق"، والعديد من الروايات والقصص الأخرى.

• وفي الوقت الحالي العديد من الأسرى كروائيين وأدباء انتشرت رواياتهم كان "الأسير عبد الله البرغوثي" صاحب كتاب "مهندس على الطريق: أمير الظل" ثم "الشهيد الحي"، الذي سرد في ثناياه معاناته في السجون وبعضاً من حياة السجون الخفية، ومن سجنه أيضاً نشرت له عدة روايات أخرى أبرزها: "الماجدة"، "فلسطين العاشقة والمعشوق"، "معتوه في دائرة العقلاء" و"ورد برائحة الدم"، "وهم الراية"، "المقدس وشياطين الهيكل المزعوم"، "المهندسة ملاك الرحمة"، "المقصلة وجواسيس الشاباك الصهيوني"، "ذكريات بلا حبر".

• وكتب الأسير "عمار الزين" والذي سنتناول أحد أعماله المشهورة جداً وهي روايته "الطريق إلى شارع يافا" التي سرد فيها فصول انطلاق كتائب القسام في مطلع التسعينيات من القرن العشرين، وتروي حكاية العمل الجهادي والاستشهادي الذي انطلق في ذلك الوقت تحت اسم وحدة "الشهداء لتحرير الأسرى" والتي توجت بعمليتين استشهاديتين في عام 1997م في شوق "محانية يهودا و"طريق بن يهودا في شارع يافا بالقدس المحتلة"، وتكشف الرواية الحرب الأمنية الخفية التي كانت تدور سرّاً بين المجاهدين ومخابرات العدو، والعديد من الأحداث التي سردتها الرواية وغيرها.

كتب أيضاً الأسير "عمار الزين" رواية "الزمرة" ورواية "من خلف الخطوط" ورواية "عندما يظهر البرتقال" ورواية "ثورة عبال" ورواية "أنجليكا"، وكلها خطها من داخل زنازين الاحتلال الصهيوني.

وفيما يلي بعض ما كتب الأسرى داخل سجون الاحتلال:

- كتب "وليد الهودلي" الكثير من الروايات داخل السجن، منها رواية "ستائر العتمة" وهي أشهر رواياته، و"مدفن الأحياء" و"الشعاع القادم من الجنوب"، و"مجد على بوابة الحرية".
- وكتب "رأفت خليل حمدونة" روايته من داخل السجن أيضاً منها: "عاشق من جنين الشتات" و"لن يموت الحكم" و"قلبي والمخيم"، "حركة من أعماق الذاكرة".
- وكتب "الأسير حسن سلامة" وهو المحكوم بأربعين مؤبداً، روايته "عملية التأثير المقدس" ورواية "خمسة آلاف يوم في عام البرزخ".
- وكتب "يحيى السنوار" روايته "الشوك والقرنفل".
- وكتب "مروان البرغوثي" أحد الأسرى في سجون الاحتلال روايته "ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي".
- وكتب "باسم خندقجي" روايته "قناع بلون السماء" وغيرها الكثير من الأعمال التي لا يسعنا ذكرها كلها.

الفصل الأول

المقاومة وذوات الإنجاز؛ الشخصية والحدث

أولاً: الشخصيات

ثانياً: انبئات الحدث

أولاً- الشخصيات:

المميز في الشخصيات التي سنأتي على دراستها في هذا المبحث حقيقية وشكلت في وقت ما قاعدة المقاومة في فلسطين عامة ونابلس خاصة، واستطاع الروائي أن يأتي على تفاصيل حياتهم واستعداداتهم وتنفيذهم لعمليات ضد الاحتلال الصهيوني، فكانت هذه الشخصيات الذوات الفاعلة والواعية في النص الروائي حيث مثلت "مدار المعاني الإنسانية، ومحور الأفكار والآراء العامة، ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في الرواية"¹.

1/ مفهوم الشخصية:

تعتبر الشخصية أحد أهم العناصر الرئيسية في البناء السردى لكل النصوص القصصية أو الحكائية فهو الوسيلة التي يجسد بها الأديب رؤيته ويعبر بواسطتها على أفكاره، فالشخصيات ماهي إلا عبارة عن مجموعة متناسقة من الدلالات والتي تعبر عن قيم إنسانية معينة "تحيا الأفكار في وسط مجموعة من القيم الإنسانية التي يظهر فيها الوعي الفردي متفاعلاً مع الوعي العام في مظهر من مظاهر التفاعل حسب ما يهدف إليه الكاتب في نظريته لهذه القيم وفي أغراضه الإنسانية، ولا مناص من اتساق هذه الأغراض مع الغرض السردى الفني"²؛ فالروائي يعبر بذات الشخصية الروائية عن تلك القيم المجتمعية والإنسانية إلى ما يريد أن يوصل الكاتب من خلالها أفكاره أو أفكار معينة.

وقد اهتم الدارسون كثيراً بالشخصية في الأعمال السردية فنجد الناقد "عبد المالك مرتاض" يعرفها: "تعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات في حدود"³؛ وفي هذا كلام مرتاض تأكيد آخر عن ما تحمله الشخصية من أوصاف معينة يحددها الروائي لتوجيه القارئ إلى الفكرة التي يريد بها.

نظراً لأنها تتجسد فيها الأقوال والأفعال التي يسردها الراوي في مخيلته وقدموا لها الكثير من المفاهيم ومنهم نجد "عبد المالك مرتاض" الذي عرف الشخصية بقوله "إن الشخصية هي التي تكون بواسطة العقد بين جميع المشكلات الأخرى حيث أنها هي التي تصنع اللغة وهي التي تستقبل الحوار وهي التي تصنع المناجاة وهي التي تصف معظم المناظر التي تستهويها، وهي التي تنجز الحدث وهي

¹ - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، مصر، ط1، 2001، ص526.

² - المرجع نفسه، ص 526-527.

³ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ط1، 1988، ص73.

التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكها وأهوائها وعواطفها...¹؛ فيؤكد هنا مرتاض أن الشخصية في الرواية تلعب دورا أساسيا في البناء السردى فهي العنصر الفعال والمتحرك الذي يعطي للرواية بهجتها وجمالها.

بل راح إلى أكثر من ذلك عندما وصف الشخصية بأنها أكثر عنصر مهم من المكونات السردية بقوله "لا أحد من المكونات السردية الأخرى يقتدر على ما تقتدر الشخصية، فاللغة وحدها تستحيل إلى سمات خرساء لا تكاد تحمل شيئا من الحياة والجمال والحدث وحده وفي غياب وجود الشخصية يستحيل أن يوجد في معزل عنها لأن الشخصية هي التي توجد وتنهض بها نهضا عجيبا والحيز يخمد ويخرس إذا لم تسكنه هذه الكائنات الورقية العجيبة الشخصيات"²؛ ومما لا شك فيه أن الشخصية في الرواية عنصر لا يمكن بأي حال من الأحوال التخلي عنه لما فيه من أهمية كبيرة تجعلها ركيزة أساسية.

يقول "عبد المنعم القاضي": "كل مشارك في أحداث الرواية سلبي أو إيجابا أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات بل يعد جنود من الوصف"³؛ وهذا يعني أن الشخصيات هي كل مشارك في تلك الأحداث وهذا مقارب لما قاله مرتاض عن مدى أساسية وجود الشخصيات في الرواية أو النصوص السردية بشكل عام.

وعند النقاد الغربيين نجد "رولان بارت" يقول أنه: "يسعنا التأكيد أن لا سردا واحد في العالم دون شخصيات"⁴؛ فالنقاد الغربيون لم يختلفوا عن العرب في مدى أهمية وجود الشخصيات في الأعمال السردية كلها سواء كانت رواية قصة أو مسرحية أو غيرها من الأجناس السردية الأخرى.

ويقول "جيرالد برنس" في "قاموس السرديات": "كائن له سمات إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية، ممثل له صفات إنسانية ويمكن أن تكون الشخصيات (رئيسية أو ثانوية) طبقا لدرجة بروزها في النص"⁵ وهنا صنف جيرالد برنس الشخصيات حسب درجة بروزها في العمل السردى رئيسية وثانوية .

¹ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص91.

² - المرجع نفسه، ص91.

³ - عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية (دراسة في ثلاثية خيرى شاي)، دراسات وبحوث الإنسانية والاجتماعية، الكويت، ط1، 2004، ص68.

⁴ - رولان بارت، النقد البنيوي للحكاية، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1988، ص123.

⁵ - جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة (مصر)، ط1، 2003، ص30.

ونقل "حميد حميداني" عن "فيليب هامون" قوله عن الشخصية: "في الحكي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص"¹.

فالشخصية عند فيليب هامون قد يتحكم القارئ نفسه في صورتها يختلفا عن ما يراه الآخرون عن طريق المعارف والمكتبات الثقافية التي يملكها.

الشخصية في كل الأعمال السردية هي مصدر الإبداع والتشويق في القصة فهي التي تدير الصراع وتعمل على تحريك الأحداث.

يقول "محمد يوسف نجم": "تعتبر الشخصية الإنسانية مصدر إمتاع وتشويق في القصة لعوامل كثيرة منها أن هناك ميلا طبيعيا عند كل إنسان إلى التحليل النفسي ودراسة الشخصية فكل منا يميل إلى أن يعرف شيئا عن عمل العقل الإنساني وعن الدوافع والأسباب التي تدفعنا إلى أن نتصرف تصرفات خاصة في الحياة، كما أننا نرغب وجموحا دعونا إلى دراسة الأخلاق الإنسانية والعوامل التي تؤثر فيها ومظاهر هذا التأثير"².

فالقُدرة على التعامل مع الشخصيات في الرواية وتحركها بشكل يشعر القارئ أن الشخصيات واقعية حقيقية.

ويقول "عبد المالك مرتاض": "هناك من لا يبرح يمنح للشخصية الروائية أهمية كبرى وبينوها منزلة عظيمة في الحياة الاجتماعية والفكرية والجمالية معا"³.

فيرى الروائي الشخصيات جزءا من حياته يتكلمون بلسانه وأفكاره وهناك من الروائيين من يجعل من أصدقائه وإخوته في الحياة شخصا لروايته.

وهذا ما نجده في روايتنا "طريق إلى شارع يافا" للأسير "عمار الزبن" والذي روى فيها الصراع الإيديولوجي العقائدي والوطني بين مجموعة من الشهداء لأجل الأسرى والاحتلال الصهيوني، وكان كل أبطال قصته هم أصدقائه وإخوته في وحدة "الشهداء لتحرير الأسرى" التي أذاقت الاحتلال الصهيوني الأمرين من خلال الكثير من العمليات التي كان خائمتها عمليتين في شارع يافا بالقدس المحتل، وذلك ما سنحاول بسطه تحليلا ثم تفسيرا من خلال ما سيقدمه الجدول الآتي.

¹ - حميد حميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، 1991، ص50.

² - محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، د.ط، 1955، ص 47-48.

³ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 76.

الشخصية	طبيعتها	انتمائها	صفاتها	ما تفكر به	ما تفعله	ما تقوله	الصفحة
أبو أيمن (الراوي) كاتب الرواية عمار الزبن	حقيقية (أسير)	وطنية إسلامية	- حنون على أهله يخاطر بحياته من أجل إخوته. الحياة. التركيز أثناء العمل. ينفذ عمله على أكمل وجه ومقاوم استخبارات	- تحرير أرض فلسطين. - تحرير الأسرى.	- استطلاع مكان تنفيذ العملية. - تجهيز مستلزمات الاستشهاديين إلى مكان العملية. - خداع الاحتلال وأجهزة أمن السلطة. - أحد أفراد خلية شهداء لأجل الأسرى. - خطط مع إخوته لعملية سوق مخن يهودا وشارع بن يهودا. - عملية مع ألوان موريه. - صراع الأدمغة مع المخابرات الصهيونية عملية مع يوسف (تشاين)	- "لم يعد شيء في الدنيا يشغل بالهم غير الشهادة لالا، فالشهادة ثقافة فلسطين منذ الولادة يرضعها مع حليب أمه لكنها ذروة الفداية". - "هذه المرة يستأنف نتيها هو على كل الجرائم التي ارتكبها العدو ضد شعبنا وسيرجوننا أن نتوقف عن ذبحه...". - "كان الشهر مع الاستشهاديين عظيما لم يتكلم فيها خليل كثيرا، كفته أنفاس معاوية وتوفيق اللذين تحاورا عن الشهادة والجنة". - "لقد أخبرتك سابقا وأكرر: شعبنا يعيش الزلزال منذ عشرات السنين وآن الألوان أن تحل هذه الزلازل إلى كل بيت صهيوني". - "كانت مهمتي مراقبة الهابطين من المستوطنة الجاثمة أعلى الجبل المطل شرقا على الأغوار الفلسطينية وغربا على نابلس". - "بدأت الأماكن في شارع يافا تلفت انتباهي... طريق بن يهود المخصص للمشاة فقط...". - "كانت المرة الأولى التي تغير فيها كئيب القسام تكتيات العمل، حيث إعتاد المجاهدون نقل الاستشهاديين بسيارات خاصة الأمر الذي كان مكشوفاً للعدو".	174 257 208 257 52 163 200

19	266	270	175	- "لقد أعلن راديو العدو باللغة العربية أن أحد الجنود يصارع الموت بعد إصابته الخطرة على قمة جبل عيبال". - إذا لم يقم نزولنا معك إلى تنفيذ عملية استشهادية فالأفضل أن نبقي هنا بانتظار العدو ونيل الشهادة على تراب قريتنا". - "لأنه لا إجماع بعد اليوم في الشهادة...أنا هو الاستشهادي". - "إلا أن الدم والتضحية بالنفس أبلغ وأعظم ما يمكن أن يحدث للمرأة".	- عملية واد الباذان - تفجير في طريق بن يهودا في شارع يافا بالقدس. - أحد مجاهدين خلية الشهداء لأجل الأسرى.	- تحرير فلسطين - تحرير الأسرى - القيام بعملية استشهادية	- حفظ القرآن كاملا - استشهادي مجاهد - الأدب والأخلاق - التضحية	- وطني - إسلامي	حقيقية	بشار(بشار صوالحة)	
20	211	239	270	176	- "كنا مستعدين جيدا راقبنا الطريق لأيام عدة، رصدنا حركة الجيش والمستوطنين وأخذنا جميع احتياطاتنا...". - "لا ضرورة لذلك فأنا وبشار سننفذ العملية ولا داعي للمراحل". - "في هذا العالم يمكن أن يحدث أي شيء وبعد رحيل معاوية وتوفيق لم نعد نطبق مجرد التفكير بالتأخر في اللحاق بهما". - "وأنا لا أقدمك على نفسي أنا هو الاستشهادي".	- عملية واد الباذان - تفجير حقيبة متفجرات في سوق مجن يهودا - عملية استشهادية - أحد مجاهدين خلية الشهداء لأجل الأسرى.	- تحرير فلسطين - تحرير الأسرى - القيام بعملية استشهادية	- حفظ القرآن كاملا - مقاتل مجاهد - استشهادي - الحياء - الأدب والأخلاق - التضحية	- وطني - إسلامي	حقيقية	يوسف (يوسف الشولي)

									- "فإن رحلنا عن الحياة رحلنا شهداء وتلك الجائزة الكبرى التي تقتضيها العدالة السماوية وينبغي أن تكون عظيمة لصاحبها كعظم التضحية".		
172	208	67	135	136	17	معاوية (معاوية جوارعة)	حقيقية شهيد	وطني اسلامي	- الشجاعة - الوعي - التضحية - الأخوة والإقدام العزم - بطل استشهادي - صادق - يحب أرضه	- الاستشهاد - قتل أكثر من 20 - صهيوني في عملية سوق - محن يهودا - مقاومة الاحتلال - أحد مجاهدين خلية - شهداء لأجل الأسرى - حضر مغارة للاحتماء من الجنود الصهاينة	- "الموت قادم لا محال بالحجر نموت بالمظاهرة نموت فماذا لا نختار الميتة التي نمت فيها عدونا". - "غدا ونحن على أبواب الجنة والشهداء يفاطرون إليها...". - "فتفجر الزجاج ومزقت الرصاصات وجوههم". - "رحيلنا يعني الشهادة". - "ولكن في تأييد موقف إخواننا فهذا ليس دورك يجب أن تبقى لتقود لتزرع الأمل في نفوس الناس". - "توفيق يقصد سلامتك أولا وبالطبع... فلو رحلت شهيدا ماذا سيحل لمشروعنا".
184	208					توفيق (توفيق ياسين)	حقيقية شهيد	وطني إسلامي	- الشجاعة - التضحية - الأخوة والإقدام - صادق - استشهادي	- الاستشهاد - تحرير فلسطين - تحرير الأسرى - عمليــــــــــــة - استشهادية	- "حسي وإياك أننا سنحفظهم بدمائنا حتى لا يزحف اليهود داخل بيوتنا". - "هذان صاحبيّ يدخلان الفردوس الأعلى برفقتي لقد صدقا الله فزادا عني بدمهما وحانت لحظة الوفاء والاصطفاء". - "لم نكذبكما فنحن لن نموت، يقول توفيق: بل سنلتقي

209	عند الله شهداء والشهداء لا يموتون...".	للاحتماء من جنود جنود الاحتلال - يجرس المغارة - كشف العملاء والجواسيس		- يحب وطنه - هادئ - الحياء - الأخلاق الحميدة			
119	"وهذا ما أريده في مشروع تحرير الأسرى الذي حملني أمانته إخواني الأسرى".	- توفير المتفجرات اللازمة - كاتب ومرسل بيان	- تحرير فلسطين - تحرير الأسرى	- وجه حنطي فافع - أسير محرر - شجاع - مجاهد - صادق - التضحية - مطارد من الاحتلال	وطني إسلامي	حقيقية أسير	معاذ (معاذ بلال)
121	"عندي متفجرات تدمر نصف تل أبيب...إذن فلنجي قضية تحرير الأسرى من خلال العمليات الاستشهادية".	- العسكري للعمليات الاستشهادية الأولى في					
258	"لقد أدى بيان العملية دوره وتمت إثارة قضية تحرير الأسرى مجددا في وعي الناس ولدى العدو وبقي أن نأسر جنديا حتى تحرر الشيخ أحمد ياسين والأسرى...".	- سوق محني يهودا وطلباتهم.					
202	"اعطني وطني وسم الأمر ما شئت".	- صانع العبوات المتفجرة في عمليتي سوق محني	- تحرير فلسطين - تحرير الأسرى - مقاومة الاحتلال	- أشقر - أسير محرر - مقاتل صلب - نشيط وذكي - يتميز بروح الأخوة - الصدق - الرغبة في تحرير	وطني إسلامي	حقيقية	جاسر (جاسر سبارو)
229	"بيان الإعلان عن العملية والمطالب التي تريدها، فسأله وهو يحمل مفاتيح سيارته: من أنتم، فأجاب: كتائب الشهيد عز الدين قسام".	- يهودا وطريق بن يهودا أحد مجاهدي خلية شهداء لأجل الأسرى - توصيل بيان عملية سوق محني يهودا إلى مراسل					

		وكالة رويترز		الأسرى - خبير متفجرات			
202 260	"ولن يكون لمعادلة الموت بالموت مكانا في قانوننا وسنسقط حق الدم الذي سفكوه من جسد شعبنا وبأيدينا". "بل سأكون أحد الاستشهاديين الثلاثة".	- صانع العبوات المتفجرة في عمليتي سوق محني يهودا وطريق بن يهودا - أحد مجاهدي خلية شهداء لأجل الأسرى - قائد ميداني في كتائب القسام في أحد أحياء منطقة رفيديا.	- تحرير فلسطين - تحرير الأسرى - مقاومة الاحتلال - القيام بعملية استشهادية	- طويل - عيون سمراء - وجه حنطي - أسير محرر - خبير متفجرات - قائد ميداني - الصدق - هادئ - شغوف بالشهادة - صانع الاستشهاديين	وطني إسلامي	حقيقية	نسيم (نسيم أبو الروس)
258 58 138	"لأنها سنة الثوار والمجاهدين". "عندما استشهد عماد الذي مرغ عنوق جيش الاحتلال بالوحد، احتفل رئيس وزراء العدو إسحاق واين بالخلاص من كابوس عماد، وما لبث أن تحول الأمر إلى كوابيس بظهور المهندس، وشعبنا وحركتنا سينجان من يحمل الراية". "يا أخي بارك الله فيك المقاومة فيه وبغيره ألا تتسع السفينة	- نقل الأسرى الأربعة الفارين من سجن السلطة إلى مخبئ - أحد مجاهدين خلية الشهداء لأجل الأقصى - مشارك في عملية تل أبيب	- تحرير فلسطين - تحرير الأسرى - صناعة العبوات الناصفة	- طالب سنة أخيرة في كلية الهندسة الكهربائية - مخلص للقضية ويؤمن بها - صادق ومجاهد - المهندس رقم 4	وطني إسلامي	حقيقية	أيمن (أيمن حلاوة)

				الشجاعة			
	لي؟ لقد سئمت الانتظار.	مشارك في عملية بسغوت					
16	"إياك أن تسبقني لطاعة فيها مقاومة للعدو كنتفي على كنتفك ويدي بيدك عشنا معك ونموت معا بإذن الله".	المشاركة في خلية شهداء لأجل الأقصى	الحرص على حفظ الثقافة والحضارة الإسلامية	طالب في كلية الشريعة	وطني إسلامي	حقيقية	مهند (مهند الظاهر)
270	"هل عرضت على خليل استعدادي لأن أكون الاستشهادي الثالث؟".	المشاركة في عملية قبر يوسف (عملية الشاين)	تغيير رؤية الناس	متفوق في الدراسة 80%			
48	"حماسي لا يقل عنكما ولكن يجب أن نطور الهجوم أو نفكر بأمر غير العبوات".	المشاركة في عملية ألون موريه	لتخصص	متقف			
101	"لقد نجحت هذه المرة أقسم أهما انفجرت".	نقل الاستشهاديين	الشرعية بدخول بمعدل متفوق	من الأحرار في إكمال كل عمل موكل إليه			
				التضحية			
				ذكي وشجاع وغير متردد			
				مهندس رقم 4			
63	"نزلت بسرعة وفتحت باب السيارة وأحييت سيرة عماد عقلي الذي كان يرفض مغادرة ساحة العملية قبل أن يجهز على الجنود ويغنم سلاحهم".	يقود كتائب القسام في نابلس وقائد خلية شهداء لأجل الأسرى	الاستشهاد	مقاوم من عائلة ثرية	وطني إسلامي	حقيقية شهيد	خليل (خليل الشريف) أبو محمد
178	"نحن لسنا مسرعين بل نتعجل ضرب العدو لكن بخطة وصبر".	تنظيم عمل الخلية قام بكمين لأحد سيارات الصهاينة قرب بيل إيل	تحرير الأسرى مقاومة الاحتلال سحق العدو الصهيوني وردعه	أثر الجهاد على حياة البذخ			
	"قولا لهم إني اخترت الرحيل مع أعظم فارسين وأني لن			لا يرضى بغير المقاومة بالسلاح			

300	أسمح أن تعلوا البسمة على وجه عدوي بقتلي قتلة عادية أو أسري فشهادتي على هذا النحو قد تأخرت عامين رغم أنني سعدت بصحبة خير رجال الدين شاركهم شرف الجهاد في سبيل الله من أجل تحرير الوطن".	(ألون موريه) - زرع عبوة ناسفة على طريق الجيئات العسكرية الصهيونية قرب عصيرة الشمالية - قتل جندي صهيوني عندما كان بفرقة محمود عملية بن يهودا في شارع يافا القدس الغربية - عملية بيسغوت - عملية فيريوسف (الشابين)		- متخلق ووسيم - مطارد من قبل الاحتلال - كتوم وذكي - التضحية - عاطفي - الصبر - ألمعي فطن - استراتيجي التفكير - نظرة ثاقبة - يجيد تحليل الحالة			
34	"إنني لم ألتق يوما بقائد كخليل الشريف ألمعي فطن استراتيجي التفكير لا يرتاح ولا يريح وهذا ما تحتاجه المقاومة لصناعة التحرير ووقع كلمة الله في الأرض".	- التربية الروحية للمجاهدين - التخطيط - معلم وشيخ دين - الداعم الروحي في خلية شهداء لأجل الأسرى - أحد قادة كتائب القسام	- تحرير فلسطين - تحرير الأسرى - هئية جيل - التحرير دينيا وفكريا	- طويل - يقارب الأربعين من العمر - وسيم وهادئ - روحاني - مجاهد - شيخ وإمام مسجد	وطني إسلامي	حقيقية شهيد	الشيخ يوسف (يوسف السركجي)
37	"الأهم ليس بدعاء يوسف السركجي أو قتلة وهذا والله ما أتمناه أن يصطفيني الله شهيدا مقبلا غير مدبر لكن إلا أن تسكت البنادق حتى لا يهنا العدو بدارنا يدرك أن ثمن كل دقيقة يقضيها على أرضنا سيدفعها من أمنه الشخصي						

118	وأيضاً من دمه". "لأن الذي يدخل بيت الجهاد والمقاومة هذا لا يمكن أن يُخذل إخوانه". "مزقوا أكبادهم بخمسمئة كيلو نعم خمسمئة كيلو في حيناً وتل أيبب نشطوا الخوف والرعب في ذاكرتكم حتى يصبح واقعهم حجيماً لا يطاق فينصرفوا عن أرضنا".	يلقب بـ "شيخ القسام" - خطط مع محمود لتأسيس خلية شهداء لأجل الأسرى		- معلم - دائم الابتسامة - أحد رموز الدعوة في فلسطين - تعرض للإبعاد إلى مرج الزهور مع محمود أبو هنود			
63	"وكانت هذه العملية باكورة الرد على اغتيال المهندس يحيى عياش رحمه الله والعدو فهم ذلك جيداً".	- قيادة مجموعة من الاستشهاديين	- تحرير فلسطين - تحرير الأسرى	- عيون خضراء - أشقر	وطني إسلامي	حقيقية شهيد	محمود (محمود أبو هنود)
25	"ما الضير؟ أبو أيمن آخر من يرى الاستشهاديين فهو أقربنا إلى الجنة".	- مجاهد وقائد عسكري - معلم قرآن	- الاستشهاد - مقاومة الاحتلال	- مطارّد من الاحتلال - مجاهد			
299	"ألم تتبايع للموت في سبيل الله؟".	- قائد كتائب القسام في الضفة الغربية	- قائد مقاومة الاحتلال	- حب الشهادة (الاستشهاد)			
105	"في النهاية نحن نقوم بواجبنا دفاعاً عن أهلنا وطلب الأجر من المولى عز وجل وبذلك نعذر إلى الله والتاريخ".	- مؤسس خلية الشهداء لأجل الأسرى	- مقاومة الاحتلال	- الحياء والأخلاق الرفيعة والأدب			
105	"صفاء الجبال يجعل من المقاتلين فلاسفة في فن الحرب".	- التخطيط لعمليتي محي يهوداً وشارع بن يهودا في القدس الغربية - عملية ألون موريه	- مقاومة الاحتلال	- عفوي و صبور - أحد رموز الدعوة في الضفة - تعرض للإبعاد إلى			

				مرج الزهور مع الشيخ يوسف			
228		- "هذا أسوأ يوم في حياتي".	- زيارة مكان عملية سوق محني يهودا	/	- رئيس الكيان الصهيوني ومجرم محتل	صهيوني يميني متطرف	حاييم فايتسمان حقيقية
/	/		- زيارة مكان عملية سوق محني يهودا	/	- رئيس الكيان الصهيوني ومجرم محتل	صهيوني يميني متطرف	نتن ياهو حقيقية
/	/		/	/	- محتل - قذر - سوقي	صهيوني متطرف يهودي	الضابط الصهيوني حقيقية
/	/		/	/	- شذاذ الآفاق - قراصنة الأحلام - قتلة الأطفال	الصهيونية	المستوطنين حقيقة

بالعودة لما تم تقديمه في الجدول واستنطاقاً لما تم تدوينه لكل شخصية من شخصيات رواية "طريق إلى شارع يافا" والتي جاء فيها إلى فترة تاريخية مهمة من تاريخ فلسطين وحصرها الروائي في سنوات التسعينات من القرن الماضي وسرد فيها فصل من فصول المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني والتي مثلها في خلية "الشهداء لتحرير الأسرى" التابعة لكتائب الشهيد عز الدين القسام، والواقع التي سردها على سردها على لسان أحد شخصيات روايته الأكثر غموضاً وهي شخصية أبو أيمن؛ هذه الشخصية التي تميزت في الرواية بكونها تروي الأحداث التي عاينتها لحظة بلحظة، فأبو أيمن كان جزءاً من الخلية وفرداً مهماً فيها إلى آخر لحظاته. وبعودة إلى حياة الروائي "عمار الزين" وسيرته الاجتماعية والمقاومة نجد تطابقاً تاماً بينه وبين شخصية أبو أيمن ليسرد فيها على لسانه فصول هذه الرواية.

والقارئ لشخصيات هذه الرواية يلاحظ بشكل مباشر أن كل شخصية منها هي شخصيات حقيقية عاشت وقاومت منهم من استشهد ومنهم من يقبع حتى اللحظة في الأسر، ولم يستعمل الروائي أي شخصية خيالية مساعدة في سرده لأحداث روايته التي تستنطق حادثة عظيمة من تاريخ المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيوني فالعمليات التي سردها على لسان تلك الشخصيات حقيقية بكل تفاصيلها فكان هذا النص فريداً من نوعه فنياً وجمالياً.

والتأمل في طريقة تصوير الشخصيات المذكورة في الجدول من خلال أقوالها وأفعالها وكذا انتمائها، يلاحظ الدقة التي كان الروائي يقدمها بها والانفعالات التي كانت تحدث بها الشخصيات، فقد كان يروي من خلالها أحداثاً خزنها أكثر من اثنين وعشرين سنة كانت مدة سجنه حتى صدور روايته من ظلمات السجن.

وربما هذا ما يميز الكثير من روايات الأسرى، فهو يرى في صدق نقله الأحداث التي يقدمها إلى شعبه من داخل أسره، فالشخصيات التي كانت تعيش من جديد داخل كلمات روايته استشهدوا جميعاً باستثناء الراوي ومعاذ اللذين لا يزالان حبيسي سجون الاحتلال الصهيوني .

فقد كان هدف الروائي من خلال تصويره لتلك الأحداث الخالدة بشخصيات محورية من تاريخ فلسطين المقاوم هر إبراز هذه الأسماء التي أشعلت ناراً وأحرقت الصهيون ومستوطنيه لسنوات، فمحمود أبو هنود القائد المقاوم أحد مؤسسي وقادة خلية شهداء لأجل الأسرى كان شبحاً طارده الكيان الصهيوني لسنوات طويلة.

والشيخ يوسف السركجي الداعية والأب الروحي للخلية، برز اسمه خلال التسعينات كأحد رموز المقاومة وبقي كذلك حتى آخر أنفاسه عندما استشهد برفقة نسيم أبو الروس وجاسر سمارو اللذين قدمهما الروائي كأحد المهندسين لعمليتي شارع يافا.

ثم يأتي دور الخمسة الاستشهاديين القائد خليل الشريف والمجاهدين يوسف الشولي، بشار صوالحة ومعاوية جرارة وتوفيق ياسين؛ فصور الروائي الاستشهاديين بنفس الصورة التي اعتاد عليها عندما كان برفقتهم من خلال سرد مشاعرهم الصادقة والمليئة بحب التضحية بأرواحهم فداء للدين والأرض.

وكذلك كان الأمر مع بقية مجاهدي الخلية أيمن حلاوة ومهند الطاهر ومعاذ بلال، فأبدع في تصوير أفعالهم البطولية وسرد أقوالهم الخالدة، فكان أيمن ومنهد مهندسا كثير من العمليات في حياتهم ما عملية شارع يافا إلا قطعة واحدة من قطع سيمفونيتهم التي عزفتها العبوات والقنابل التي كانا يصنعانها، ولم يختلف معاذ عنهما فقد كان بمثابة الحافظ لأمن المجموعة بفضل نقله المخطط دون كشف الصهاينة له وظل يزرع في قلوب الصهاينة الرعب مع إخوانه في خلية شهداء لأجل الأسرى حتى اعتقاله مع الروائي عمار الزين.

من جهة أخرى فقد طمس الروائي كل أثر يستطيع لشخصيات الاحتلال ولم يعطهم فرصة التحدث في روايته إلا في مقاطع قليلة مثل: نقله كلام التأسف من رئيس الكيان الصهيوني أنذاك حاييم فايتسمان ونقل لنا عدة شخصيات صهيونية مثل رئيس الوزراء الصهيوني نتن ياهو وأحد قادة الاحتلال دافيد بن غوريون وغولدا مائير وأخرسهم من أي كلام في روايته.

فلم تكن روايته تحتل وجود المجرمين بين المجاهدين وفي كل مرة يأتي على ذكر الطرف الصهيوني يسرد لنا مواقفهم الاجرامية أو مظاهر صدمتهم بعملية سوق محني يهودا من خلال حوار بين ضابط الاستخبارات الصهيوني وأحد المدعين، وفي عموم روايتهم فقد أحالنا في الكثير من المرات إلى صفات الصهاينة المعنوية فوصفهم مرة بالإجرام ومرة بقتلة الأطفال وشذاذ الآفاق وقراصنة الأحلام... وغيرها من الأوصاف التي أنزل بها الصهاينة منزلتهم عند كل فلسطيني، ولنقل عن كل مسلم وعربي أخطاء الصهاينة من الرواية وأزال به كل فرصة للتعاطف معهم بأي شكل من الأشكال وحرص فيه على تصوير الشخصيات الصهيونية بكل أوصاف الإنسانية التي يستحقونها.

جاءت الشخصيات المسيرة لأحداث رواية "الطريق إلى شارع يافا" تؤكد الصيغة التي يكتب بها الأسير نصوصه الابداعية وهي تعكس الحالة التي يعيشها من الأسر من عدم الإنسانية والتعذيب فهو يعدم كل أثر للصهاينة في روايته.

وبالعكس يكون مع الشخصيات الفلسطينية التي أبرز كل مظاهر المقاومة الممزوجة مع المشاعر الإنسانية كالمجتمع والآخرة والصدق والتضحية، وهي لاشك صفة كل شخصيات روايته وتصوير بديع لها وسرد مميز لأحداثهم التي تعيدك إلى حياتهم النبيلة وتستشعر فيها صدق حبهم لتلك الأرض وصدق مقامتهم التي دفعوا لأجلها حياتهم وخلدها عمار الزمن في روايته، فالشهداء لا يموتون بل أحياء عند ربهم يرزقون.

ثانياً- انبناءات الحدث:

كل رواية أو أي نص سردي مهما كان نوعه لابد أن يتوفر على حدث مميز، فهو من أهم العناصر المكونة للسرد والذي لا يمكن لأي سارد التخلي عنه، فيعرفه "لطيف زيتوني" بقوله: "هو كل ما يؤدي الى تغيير أمر أو خلق حركة أو انتاج شيء، ويمكن تحديد الحدث في الرواية بأنه لعبة قوى متواجهة أو متحالفة تنطوي على أجزاء تشكل بدورها حالات متحالفة أو مواجهة بين الشخصيات"¹؛ فالشخصيات هي المحرك الرئيسي لسيرورة الحدث، فيقوم السارد بمنح كل شخصية دور معين تقوم به في سياق هذا الحدث الذي يريد سرده لنا.

ويعرفه "جيرالد برنس" هو الآخر فيقول هو "تغيير في الحالة يعبر عنه في الخطاب بواسطة ملفوظ فعل في صيغة "يفعل" أو "يحدث" و "الحدث" يمكن أن يكون "فعلاً" أو "عملاً" (عندما يحدث تغيير بفعل فاعل: "فتحت ماري النافذة")²؛ وهو بذلك يؤكد على كون الشخصيات هي المحرك لنسق الحدث، حيث تتكفل بفعل أدوار معينة يمنحها لها السارد فيتحرك سرد الأحداث، ويؤكد جيرالد برنس بشكل أساسي أن التغيير في الحالة يكون بصيغة "يفعل" كما أن الحدث عنده يكون فعل أو عمل تقوم به الشخصيات.

ومن جهته يؤكد "عبد الله بن صفية" أن هذه الأفعال التي تقوم بها شخصيات الرواية يتم تأطيرها في مسار متسلسل زمنياً حيث يقول: "تتراكم فيه مترابطة وفقاً لسيرورة الملفظ الروائي مشدودة بعضها ببعض، متسلسلة سببياً، سائرة نحو الاكتمال بداية من وضعية منطلق مروراً بسلسلة من الإنجازات المتطلعة، وصولاً الى نتيجة هي بمثابة نهاية المتوالية"³؛ حيث يتم إعادة تشكيل الأحداث بشكل متسلسل سببياً فتكون في شكل متناسق ترامي من أول حدث إلى آخر حدث، يكون اكتمال سيرورة الأحداث على شكل ثلاث وضعيات هي: وضعية المنطلق و يتم توضيح أحداث بداية الرواية، ثم وضعيات إنجاز وتكون عبارة عن عرض كامل أحداث الرواية بشكل متسلسل، وأخيراً وضعية وصول يتم فيها اظهار نتائج سير الأحداث السابقة.

¹ - لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت - لبنان، ط1، 2002، ص 75.

² - جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد امام، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط1، 2003، ص 63.

³ - عبد الله بن صفية، التخييل التاريخي في الرواية الجزائرية: جدلية المرجع والمنجز السردي (رسالة دكتوراه من جامعة باتنة 1)، ص 116.

وهذا ما سنعمل عليه خلال تحليلنا بنية الحدث في رواية "الطريق الى شارع يافا"، الرواية التي تحكي الصراع الفلسطيني الصهيوني والحرب الأمنية والاستخباراتية القائمة بين المقاومة والاحتلال الصهيوني، وتسرد فصلا من فصول انطلاق كتائب الشهيد عز الدين القسام في تسعينيات القرن الماضي وتروي قصة العمل الجهادي والاستشهادي الذي أطلقه من مدينة نابلس مجموعة من الشباب المجاهدين، وتوجت عملياتهم الجهادية والمقاومة بعمليتين استشهائيتين سنة 1997 في سوق محني يهودا وطريق بن يهودا في شارع يافا بالقدس المحتلة، وتكشف أيضا تكتيكات العمل الجهادي والاستشهادي الذي تميزت به هذه الوحدة وخلف الرعب في أكثر الأماكن أمنا لدى الصهاينة.

1/ وضعية المنطلق:

تنطلق فصول الرواية من لحظة وحدث فارق في حياة القائد خليل الشريف عندما اختار طريق الجهاد على مسيرة التسوية والتطبيع، والبندقية على الاستسلام، فقرر الانضمام لكتائب الشهيد عز الدين القسام "أنا من يريد أن يعلم العالم بأسر، أنني على النهج الذي يقود الى التحرير، نهج أبي جهاد ويحيى عياش وكتائب القسام"¹ فكان النهج الذي ارتضاه خليل لنفسه هو نهج الجهاد والعمل المسلح مع كتائب الشهيد عز الدين القسام.

ثم كان انظام خليل أخيرا إلى أحد المجموعات القسامية في نابلس وبالتحديد في جبال عصيرة الشمالية فكان لقاءه مع محمود أبو النهود وأخوته في المغارة، فكان الحدث الذي أشعر خليل بالحماس أكثر للعمل الجهادي وخاصة الاستشهادي بعدما سمعه من محمود عن رغبة إخوانه يوسف، بشار، توفيق ومعاوية لتنفيذ عملية استشهادية، فزرع فيه هذا الأمر روحا متفائلة لتحقيق هدفه المنشود.

فالشاب خليل الطالب الجامعي المنحدر من أسرة ثرية " وجد نفسه بين عشية وضحاها ملاحقا في بطون الجبال"² ؛ أحدث هزة غداة كبيرة غدا انضمامه لكتائب القسام جعلته مطاردا ليس فقط من قبل جنود الاحتلال بل حتى من الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية.

¹ - عمار الزين، رواية الطريق إلى شارع يافا، ص 45.

² - المصدر نفسه، ص 17

يضيف الراوي موضحاً أهمية خليل " أصبح خليل سبباً في إعادة عملنا في كتائب القسام بعد الانقطاع الأول، لا تدري من اين يأتيك الخير، يخرج المهندس يحيى عياش الى غزة، فينقطع الاتصال به ولعد أقل من عامين يعود مجدداً من جهة غير متوقعة ساقطها الاقدار الينا "1 فلم يكن خليل مجرد شاب أخذته العاطفة أو مشاعره للمقاومة بل كان الشاب القائد الذكي الفطن الاستراتيجي التفكير والتخطيط كما وصفه الشيخ يوسف السركجي، الذي بدأ من بيته أولى الأفكار التي ستقود لاحقاً إلى أحد أكبر العمليات الاستشهادية في تلك الفترة.

2/ وضعيات الإنجاز:

• استشهاد يحيى عياش وبدأ علميات محدودة في مدينة نابلس:

كان استشهاد القائد المهندس يحيى عياش الحدث الأكثر تأثيراً على خليل بعد انضمامه الى كتائب القسام، وجعله يسارع في تشكيل مجموعته التي سيعمل معها على تنفيذ الكثير من العمليات الجهادية في مدينة نابلس، فلقد كان المهندس يحيى عياش قدوة لخليل في العمل الجهادي حيث قال: " كنت أمل أن يجمعني الله بالمهندس"2؛ كان حلمه لقاء المهندس يحيى عياش الذي أذاق الصهاينة أصفاء من الموت في عملياته.

بعد نزول خليل ومحمود ورفاقهم في الجهاد من المغارة الى مدينة نابلس قاموا بتنفيذ الكثير من العمليات المقاومة ضد جنود الاحتلال الصهيوني والمستوطنين فكانت من أبرز تلك العمليات عملية ألون موريه وعملية الشاين أمام قبر النبي يوسف في مدينة نابلس والتي قتل فيها جنديين صهيونيين.

• اكتمال دائرة المجاهدين:

لقاء معاذ بنسيم وجاسر بعد خروجهم من السجن كان الحدث إلى مكن أخيراً خليل من اكمال وحدته بانضمام المهندسين نسيم وجاسر والذين سيكون لهما شرف تجهيز الحقائق التي ستنسف أمن بني صهيون، فالمهندسان كان لهما نفس هدف خليل وبقية مجاهدي المجموعة حيث يذكر الروائي " لم يكن خليل والشيخ يوسف أقل حرصاً على تحرير الأسرى من نسيم وجاسر الذين وافقوا على

¹ - عمار الزبن، رواية الطريق إلى شارع يافا، ص 47.

² - المصدر نفسه، ص 59.

أولوية العمل على ملف الأسرى¹؛ ثم كان ثم كان انضمام مهند الذي كان في تواصل سابق مع أبو أيمن.

اكتمال دائرة المجاهدين كانت بقاء معاذ و خليل أخيرا في بيت الشيخ يوسف السركجي، فبعد أيام قليلة من خروج معاذ من السجن، أرسل عبر اتصال مع الراديو رسالة مشفرة لشقيقه عثمان والقائد عبن الناصر عيسى تفتن لها خليل الذي أبلغ بذلك الشيخ يوسف السركجي عندما زاره في بيته وقال له: "يا شيخ، معاذ يمتلك شيئا أريده... سمعته يث شيفرة على الراديو ولا يساورني شك أنه يخطط لأمر ما"² وكانت نباهة خليل وتحليله الجيد لكلام معاذ محقة، فلقد ذهب الشيخ يوسف لبيت معاذ وأحضره لبيته ليلتقي بخليل وأخبرهم بما لديه "فسارع معاذ بالقول وهو ينظر لعيني خليل الثابقتين: لدي متفجرات تدمر نصف تل أبيب"³ فكان وقع هذا الخبر على خليل قويا جدا فكل ما يحتاجه الآن لبدأ العمل متوفر، الاستشهاديون يوسف، بشار، توفيق ومعاوية وكان قائدهم محمود، وأبو أيمن ومهند في الاستطلاع والاستخبار وإيصال الاستشهاديين وتوفير أماكن آمنة لعمل الوحدة، وأخيرا معاذ والمهندسين نسيم وجاسر وكانوا مكلفين بصناعة حقائب الموت التي سيأخذها الاستشهاديون.

عندها قال الشيخ يوسف السركجي لخليل "هكذا اكتملت الدائرة"⁴ واتفق الجميع على اقتراح معاذ الثاني بقوله: "إذن فلنحيي قضية تحرير الأسرى من خلال العمليات الاستشهادية..."⁵؛ ولم يختلفوا في ذلك حيث أن هذا ما كان يراود كل مجاهد خاصة الاستشهاديون الأربعة و خليل، فكان ميلاد وحدة "الشهداء لتحرير الأسرى" حلم خليل والمجاهدين.

● العملية الأولى في سوق محني يهودا:

قبل العملية بعدة أيام التقى خليل ومحمود بمجموعة الأخير من الاستشهاديين وأخبرهم بقرار العملية الاستشهادية "لقد اقترب موعد الفراق"⁶، ثم أكد لهم ذلك بقوله "نعم، إنها الشهادة، لقد

¹ - عمار الزين، رواية الطريق إلى شارع يافا، ص 128

² - المصدر نفسه، ص 116

³ - المصدر نفسه، ص 121

⁴ - المصدر نفسه، ص 123

⁵ - المصدر نفسه، ص 123

⁶ - المصدر نفسه، ص 134

انطلق المشروع كما أردتم¹؛ فكانت هذه اللحظة البداية الحقيقية لمشروع العمليات الاستشهادية التي كانت هدف الجميع.

بداية التحضير للعملية الاستشهادية الأولى كانت بلقاء خليل مع أيمن حلاوة صديق طفولته والجامعة وأحد المهندسين الذين سيعتمد عليهم خليل لصناعة الحقائق المتفجرات مكلف نسيم وجاسر بتجهيز المواد المتفجرة في المخزن او المعمل الذي استأجره أبو أيمن بطلب من خليل.

كان أبو أيمن مع أول مهمة استطلاع لموقع العلمية قبل عشرين يوما، فتمكن من دخول القدس الغربية رغم شدة الإجراءات الأمنية التي كان تقوم بها شرطة الصهاينة حيث أن المجموعة لا تملك مجاهدا من القدس " لا نملك مجاهدا مقدسيا يستطيع انجاز المهمة و لسنا معنيين بتوسيع الدائرة"²؛ فكان هذا القرار من خليل حكيما كي يتحكم في كل الوحدات من مدينة نابلس دون الحاجة للانتقال إلى مدينة أخرى والتعرض لخطر الاعتقال أو الكشف من المخابرات الصهيونية وعملاتهم في المنطقة رغم الثقة التي كانت بين المجاهدين إلا أن خليل فضل الأخذ بالأسباب فأى خطأ صغير قد يكشف ما يخطط له، لقد كان صراع العقول بين المجاهدين ومخابرات الاحتلال جزء من هذه الحرب، فمجرد كشف اسم من أسماء المجاهدين سيعرض عملهم للخطر حيث يستعمل الاحتلال طرقا إجرامية لإرغام المجاهدين على تسليم أنفسهم مثل اعتقال أفراد من عائلاتهم أو المداهمات اليومية لكل الاحياء وتدمير البنية التحتية هناك بل وحتى قتل المدنيين بعشوائية إجرامية، وبالعودة الى المهمة التي كلف بها أبو أيمن فقد زار القدس وغربها الذي يسيطر عليه الاحتلال بشكل كامل و تحديدا شارع يافا الأكثر شهرة في القدس الغربية، والمعروف بأنه الشارع الأكثر أمن بسبب الانتشار المكثف لجنود و شرطة الاحتلال.

وهناك رأى أبو أيمن أشهر أسواق القدس، سوق محني يهودا، ثم كانت له جولة ثانية وصفها بقوله: " وبجولتي الثانية اكتملت الصورة فكانت الإشارة لدائرة محمود الاستشهادية ودائرة معاذ الهندسية للبدء بإخراج الخطة التي رسمت على الخريطة إلى حيز التنفيذ بعد التشاور معهما منفردين

¹ - عمار الزين، رواية الطريق إلى شارع يافا، ص 135

² - المصدر نفسه، ص 160

ومباركة الشيخ يوسف السركجي مظلة العمل المقاوم بأسره¹؛ فكان الانطلاق في المهمة الثانية التي تعني بداية العمل التنفيذي لدائرة محمود وخاصة دائرة معاذ الهندية معاذ.

قبل ثمانية عشرة يوم التقى محمود مع وحدته من الاستشهاديين في جبال نابلس لاختيار استشهاديين اثنين من بين الأربعة، واحتكموا في ذلك إلى القرعة التي رغم أنها أخرجت بشار ويوسف إلا أن إصرار معاوية وتوفيق عليهم جعلهم يقبلون، فكانت تلك اللحظات التي قل نظيرها أن يتشاجر إخوة الجهاد فيمن يأخذ الدور بالاستشهاد أولاً وصف الروائي ذلك المشهد بقوله " لم يعد يشغلهم شيء في الدنيا غير الشهادة ، لا لا ، فالشهادة ثقافة الفلسطيني منذ الولادة، يرضعها مع حليب أمه، لكنها ذروة الفداية والتضحية والبسالة "العمليات الاستشهادية"²؛ حيث يتمزق الجسد لحظة واحدة آخذ معه عشرات الصهاينة في مشهد يكون عادة آخر ما يراه أي صهيوني قريب من الاستشهادي.

كانت زيارة خليل إلى المهندسين جاسم ونسيم في دائرة الهندسة التي يفودها معاذ في المخازن التي يتم فيها تجهيز المواد المتفجرة التي يطلق عليها بين المجاهدين اسم "أم العبد" نسبة ليجي عياش الذي كان يكنى بأبي العبد، كان المهندس يطبخان على نار هادئة موت الصهاينة و تأكد من ذلك خليل حيث يروي السارد " بعد عدة أيام من زيارة خليل لزاوية الهندسة وتأكد من انجاز دائرة معاذ علميها أرسل معاذ إشارة إلى للمجاهد الأسير عبد الناصر عيسى في محبسه بسجن عسقلان ... يخبره فيها بالشفرة الكلامية عن اقتراب الوعد"³، ثم أرسل خليل رسالة مشفرة إلى قائده في الأردن والتي تقول " عملية استشهادية في القدس خلال أيام "⁴.

المعركة النفسية والإعلامية جزء مهم جدا في الحرب مع العدو الصهيوني، فبينما يستعمل هو وسائله القدرة من أكاذيب تذايع في كل القنوات التلفزيونية العالمية بملايين الدولارات، كانت البيانات التي تصدرها المقاومة وكتائب القسام تذايع بصفر دولار لكل أنحاء العالم مستغلين رغبة القنوات في السبق الصحفي الذي نادرا ما يحصل عليه أي صحفي لسرية عمل المقاومة، وفي كل مرة

¹ - عمار الزبن، رواية الطريق إلى شارع يافا، ص 168

² - المصدر نفسه، ص 174

³ - المصدر نفسه، ص 182

⁴ - المصدر نفسه، ص 187

يذاع فيها بيان لعمية أو قرار يستنفر العدو الصهيوني كل أجهزته الأمنية والعسكرية والاستخباراتية لكشف أي طرف خيط يقودهم الى احد المجاهدين لكن من جهتهم فالمقاومون ليسوا أغبياء وقد تمرسوا في الحرب النفسية والإعلامية ضد هذا المحتل، وكانت إحدى مهمات معاذ كتابة البيان الذي سيذاع بعد العملية الاستشهادية في سوق محني يهودا وساعده في ذلك والده الشيخ سعيد بلال حيث أحد المؤسسين لحركة المقاومة الإسلامية في الضفة الغربية.

صباح يوم العملية كانت فيه مهمة أبو أيمن بنقل الاستشهاديين إلى موقع العلمية، وكانت هذه المهمة الأخطر حيث أي رمشه خاطئة من الثلاثة قد تعرضهم للفت انتباه شرطة وجنود الاحتلال بل حتى جواسيسهم في المنطقة وقد يكون سائق التاكسي الذي يوصلهم إلى هناك أحدهم.

لم يكن منظرا سهلا على الاستشهاديين وهم يرون قطعان المستوطنين يتجولون بحرية في ثالث أقدس مدينة إسلامية بينما لا يستطيع سكان الأرض الأصليين المشي ولو خطوة دون خوف من الاعتقال على يد جنود الاحتلال المنتشرين في كل مكان، كانت نار الغضب تدب في الاستشهاديين اللذين ستفوح بعد قليل رائحة المسك من جسديهما، رائحة لن يتمكن الصهاينة من شمها فهم سيستنشقون فقط رائحة الموت الذي يحمله معاوية وتوفيق " ابتسم معاوية وهو يرفع حقيته للأعلى مرددا: أ □ □ □ □ □ □ □ بسم الله¹ ، ثم يتبعه توفيق الذي كان يرى قطعان الصهاينة حثالة الأمم يهربون من جحيم معاوية " فرفع حقيته العودة إلى يافا مرددا ودموع الفرح في عينيه أ □ □ □ □ □ □ □ بسم الله² ، ليحصدا معا ثمانية عشر صهيونيا وعشرات الجرحى بحسب ادعاءات الشرطة الصهيونية في يوم سيبقى في ذاكرة قادتهم المجرمين.

بعد العملية وعودة أبو أيمن إلى نابلس، كان دور جاسر في نقل البيان إلى مراسل وكالة رويترز العالمية في دقائق معدودة كانت قنوات العالم تعج بخير واحدة " حركة حماس تعود لعمليات التفجير بقوة والعنوان " تحرير الاسرى"³

¹ - عمار الزبن، رواية الطريق إلى شارع يافا، ص 221

² - المصدر نفسه، ص 221

³ - المصدر نفسه ، ص 229

● العملية الثانية طريق بن يهودا ولحن النسف يعزفه الفنان:

معد عشرين يوما من العملية المزدوجة في سوق محني يهودا عرض خليل على أبو أيمن فكرة عملية ثانية في نفس المكان، شارع يافا بالقدس وطلب منه الذهاب لاستطلاع الحالة الأمنية التي أصبح عليها الصهاينة بعد عشرين يوما، يقول أبو أيمن " نزلت في باب العامود، لم أجد صعوبة في الوصول إلى القدس بعد أن رفعت قوات الاحتلال الطوق الأمني عن الضفة الغربية مبقية إياه على مدينة بيت لحم¹ ثم زار هناك شارع يافا وسوق محني يهودا حيث وجد قوات الاحتلال تعسكر على مدخله فقط لبث الطمأنينة المفقودة في قلوب المستوطنين، فاتخذ خليل قراره بالتجهيز للعملية الثانية وهذه المرة فالمفاجئة الكبيرة تنتظر أبو أيمن وبقية المجاهدين، فخليل القائد لوحدة الشهداء لتحرير الأسرى قرر أن يكون أحد الاستشهاديين الذين سينفذون العملية الثانية ، ووصف أبو أيمن صدمته بقوله " سكن النهار كالليل ولم أعد أسمع أحدا، تعطلت حواسي الأربع و بقيت عيناى تعمّالان في اتجاه واحد ، لا تريان غير رسمة وحيدة للرجل الذي لم يكن... ، عادت حواسي دفعة واحدة وأنا أحرق بعيني الاستشهادي القائد الثائرتين الواقعتين، و الضاحكتين في آن واحد فلم يدعني وحيدا في تلك اللحظة مشفقا: نعم هو أنا²، ليس سهلا أن يتقدم للعمل الاستشهادي قائدة الوحد القسامية بل كان الوحيد الذي فعل ذلك طوال تاريخ العمليات الاستشهادية من هذا النوع يقول أبو أيمن " خليل الشريف ارفع ضابط في كتائب القسام يتقدم للعمل الاستشهادي الذي يقود ، سألقي صامتا تخرسني حكاية سأعيش كثيرا ولن أسمع مثلها³ وبالفعل لم يسمع مثلها أبدا طوال سبعة وعشرين سنة هو في غيابه سجون الاحتلال، طبيعة العمل أن القائد هو أهم فرد في المجموعة ولكن خليل كان حلمه أن يفدي دينه ووطنه وأهله بروحه وجسده وهذا ما كان له ولسنوات بقي خليل الحالة المنفردة لهذا الفعل، حتى بدأت حروب الاحتلال الأربع على قطاع غزة وآخرها طوفان الاقصى الذي رأينا فيه كيف يتقدم القائد قبل جنده في أكثر من مرة طوال الأشهر الثمانية الماضية .

في الربع من أيلول سبتمبر من العام 1997 وبعد اكتمال التحضير لهذه العملية بنفس سير العملية الاولى خرج أبو أيمن مع الاستشهاديين الثلاثة يوسف، بشار والقائد خليل والوجهة طريق بن

¹ - عمار الزين، رواية الطريق إلى شارع يافا، ص 253

² - المصدر نفسه، ص 298

³ - المصدر نفسه، ص 299

يهودا، شارع يافا، القدس..، يقول أبو أيمن عن خليل " أصر خليل أن يكون قائدا حتى آخر لحظاته فرأيته يساعدتهما في نزع مفتاح الأمان الأول ثم أعطاني إشارة الجهوزية الكاملة بعينيهِ " ¹ القائد يبقى قائدا حتى يستشهد وتتحقق مقولة محمود التي قالها ذات يوم لخليل أن هذه الأنة لا تتوقف عن انجاب القادة تلو القادة يستشهدون ويولد غيرهم، استشهد خليل وفي نفس الوقت ولد عشرات الأطفال الكثير منهم اليوم يقود بطولات المقاومة في غزة و الضفة في معركة طوفان الاقصى، وهناك في طريق بن يهودا في سبتمبر من العام 1997 عزف الثلاثة مرة أخرى سمفونية الموت الذي رقصت أجساد الصهاينة له ألما والموت يلتف بهم من كل جانب لسان كل استشهادي يقول: أ □ □ □ □ □ □ □ □

3/ وضعية الوصول:

كان نجاح العمليات الاستشهاديتين باهرا، فقد استطاعت وحدة الشهداء لتحرير الاسرى كسر كل الحواجز الأمنية التي نصبها الصهاينة في وجه العمليات الاستشهادية، فقد تغلبت الخلية القسامية وليدة بضع شهور من التغلب على كل أجهزة الأمن الصهيونية والاستخباراتية بكل وسائلها المتطورة وأعدادهم الكبيرة، استطاع ثلاث عشرة مجاهدا قساميا من كسر أمن أحد أكثر الجيوش اجراما في العالم بأسره.

فرغم المطاردة التي لا تتوقف لجيش الاحتلال للمجاهدين في كل مكان في نابلس ورام الله وكل الضفة الغربية حتى قطاع غزة، بل حتى في أكثر الأماكن حراسة وهي مدينة القدس وجزئها الغربي الذي لا يوجد فيه أي مواطن عربي أو مسلم، فتوازن الرعب الذي خلقتة هذه الوحدة القسامية أظهرت للصهاينة انه لا يوجد مكان آمن لهم في كل شبر من أرض فلسطين.

من جهته خليل نصب نفسه شهيدا برتبة قائد زلزل أمن الكيان الصهيوني في أقل من ثلاث أشهر من جمع وحدته، فلم يخطأ الشيخ يوف السركجي عندما وصفه بالقائد الفطن الاستراتيجي التفكير الذي لا يرتاح ولا يريح فهذا النوع من القادة هم حقا ما نحتاجه لصناعة التحرير.

¹ - عمار الزبن، رواية الطريق إلى شارع يافا، ص 316

أما مجموعة محمود والاستشهاديون الأربعة يوسف وتوفيق بشار ومعاوية فقد حققوا مشروعاتهم بالشهادة عبر العمليات الاستشهادية، منتهى التضحية وذروها أن يفدي هؤلاء الشهداء البرع دينهم ووطنهم وهم في عز سنوات شبابهم.

من خلال ما تقدم تظهر ملاحظة الوضعيات الثلاث (المنطلق، الإنجاز، الوصول) مشاركة فعالية للشخصيات في خط سير الحدث الروائي كما سبق وأكد كل من لطيف زيتوني وجيرالد برنس بداية من وضعية المنطلق حيث لأظهر الروائي محورية تحليل الشريف في بشكل أساسي في أحداث رواية وهو ما كان علي الأمر حيث أن كل الرواية مثلت صورت القائد خليل من خلال عمل وحدة الشهداء لتحرير الأسرى فجاءت الأحداث في شكل نسق تصاعدي و"على شكل نسق من التطلعات التوجهات و الرغبات التي منعها الواقع من الاشباع الكامل، على الصعيد الجماعي أو علي الصعيد الفردي"¹؛ ومن خلال وضعية الإنجاز التي رصد فيها تسارع الأحداث من لحظة استقبال خليل لخبر استشهاد المهندس يحيى عياش إلى العملية الاستشهادية الثانية بعد اكتمال دائرة المجاهدين في وحدة الشهداء لتحرير الأسرى وبعد العملية الأولى في سوق محني يهودا، حيث ظهر جليا خلالها الفكر والرؤى التي أراد الروائي تمريرها للقارئ والتي مثلت فيها فكرة المقاومة والعمليات الاستشهادية الحدث الأبرز، بالإضافة إلى اظهار الروائي مدى الضعف والهوان الذي يميز هيكله الكيان الصهيوني الأمنية، وتطرق كذلك إلى البعد العاطفي والديني والوطني للمجاهدين ومدى التزامهم بقضيتهم الدينية والوطنية، وفي وضعية الوصول خرجنا منها ببعض النتائج التي مثلت الأفكار الجزئية لكل الرواية والتي سعى الروائي فيها للسفر زمنيا لأحداث كانت مفصلة في تاريخ المقاومة الفلسطينية فقد جاءت سنوات قليلة قبل انتفاضة الأقصى سنة 2000 والملاحظ كذلك أن الكاتب أراد أيضا اظهار أهمية العمل الاستشهادي فبمجرد كشف هذه الوحدة بعد أكثر من عام على علمي شارع يافا كانت الخلايا المقاومة في كل أنحاء الضفة وغزة قد نحت نحو وحدة الشهداء لتحرير الأسرى ونفذت عشرات العمليات الاستشهادية خلال السنوات اللاحقة والتي كان كثير منها أكثر دموية بالنسبة للصهاينة.

¹ - محمد نلسم خشفة، تأصيل النص -المنهج النبوي لدى غولدمان (دراسات في المنهج)، مركز الانماء الحضاري، حلب-سوريا، ط1، 1997، ص74

وذهنيا، الشيء الذي ننتبه له أيضا أن أغلب المجاهدين في وحدة الشهداء لتحرير الأسرى كانوا شبابا لم يتجاوز أكبرهم 30 سنة، وهذه رسالة مهمة جدا من الروائي حول دور الشباب في كل أعمال المقاومة الجهادية ويظهر كذلك مدى ثقة قادة المقاومة في شبابهم وقدرتهم على منحهم أدوارا قيادية كبيرة.

فلقد جاءت كل الأحداث التي تم تدوينها متساوقة والغرض الفكري الذي تبغيه الرواية المقاومة وروايات السجون، من تحريض على الجهاد والمقاومة وكذا الكلمات المشتعلة حقدا على الصهاينة من أسير عانى ولا يزال يعاني الامرين في سجون الاحتلال الصهيوني.

الفصل الثاني:

تشكلات الزمن والمكان

أولاً: تشكلات الزمن

ثانياً: الفضاء المكاني

أولاً- تشكلات الزمن:

يعدّ الزمن عنصر من العناصر الفاعلة في العمل الروائي، وهو من أهم المكونات السردية التي شغلت النقاد والدّارسين، فهو المحدد والمبلور الرئيسي لشكل البنية الروائية، وأبانت رواية "الطريق إلى شارع يافا" عن قدرة الأسير في بناء الزمن الروائي من خلال استعماله لتقنيات الزمن المختلفة من مفارقات زمنية وإيقاع السردى مميز .

وتعدّدت مفاهيم الزمن لدى النقاد والباحثين حيث أن: "الزّمن أو الزّمان (أو Le temps بالفرنسيّة، أو Time بالإنجليزيّة، أو Tempus باللاتينية) هو التّصوّر الفلسفي، ولدى أفلاطون تحديداً كلّ (مرحلة تمضي لحدث سابق إلى حدث لاحق"¹.

أي أنّ للزّمن مرحلتين تمضي فيها مرحلة معيّنة بحدث معيّن والحدثين هما: حدث سابق وحدث لاحق ويعني ذلك أنّ هناك حدث أوّل وبعدها حدث ثاني والأحداث فيه تتغيّر حسب تغيّر الأشياء.

بينما نجد الزّمن في تمثّل "أندري لالاند": "متصوّر على أنّه ضرب من الخيط المتحرّك من يجرّ الأحداث على مرأى من ملاحظ هو أبداً في مواجهة الحاضر"²؛ بمعنى أنّ الزّمن خيط يحكي أحداث ومشاهد متتالية يواجه بها الحاضر.

على حين "غيو" ينظر أنّ للزّمن على أنّه: "لا يتشكّل إلّا حين تكون الأشياء مهيّأة على خطّ بحيث لا يكون إلّا البعد واحد: هو الطّول"³؛ أي أنّ الزّمن يسير في خطّ مستقيم ما يسمّى بالطّول الذي تجري الأحداث والمشاهد والملاحظات من خلاله.

كما ورد في كتاب "الزّمن النّحوي في اللّغة العربيّة" "العبد الرّحيم رشيد" مفهوم الزّمن على النحو التالي: "وما تظنّ أنّ فرق حرف بين الكلمتين "زمن، زمان" يكفي لإيقاع هذا الفرق الجذريّ

¹ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1998، ص172.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الكبير في المعنى والدلالة، وبخاصة أن النحاة القدماء والحديثين لم يثيروا من قريب أو بعيد إلى هذا التفريق، بل أن الكلمتين "زمن، زمان" تتبادلان الاستعمال في المعنى الواحد¹.

ومعنى هذا أن الزمن والزمان لا يوجد فرق بينهما، والباحثين في القديم والباحثين الحديثين لم يضعوا فرق بينهما وإنما كانوا يستعملون اللفظتان في معنى واحد.

أما من الناحية السردية فيفرق أبطر ورواد التنظير السردى بين نوعين من الزمن هما : **زمن القصة** و**زمن السرد**، الأول يخضع للتابع المنطقي للأحداث، والثاني لا يخضع لأي تابع منطقي، ويشير جيارر جينيت إلى ذلك بقوله "الحكاية مقطوعة زمني مرتين: فهناك زمن الشيء المروي، وهناك زمن الحكاية (زمن المدلول وزمن الدال)، وهذه الثنائية لا تجعل الالتواءات الزمنية كلها - التي من المبتذل بيانها في الحكايات ممكنة فحسب، بل الأهم أنها تدعونا إلى ملاحظة أن إحدى وظائف الحكاية هي إدغام زمن في زمن آخر"²

كما قام **جان ريكاردو** بمحاولة أن يقيم صلات بين زمن السرد الروائي وزمن

القصة المتخيلة من خلال إبراز العلاقة بين هذين المحورين والتي حددها على هذه الشاكلة:³

- مع الحوار يكون نوع من التوازن بين المحورين.

- مع الأسلوب غير المباشر الذي يلخص الأحداث تسرع وتيرة السرد.

- مع التحليل السيكلوجي والوصف يتباطأ الحكى.

¹ - كمال عبد الرحيم رشيد، الزمن النحو في اللغة العربية، دار عالم الثقافة، عمان (الأردن)، د.ط، 2008، ص15.

² - جيارر جينيت، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، مراكش (المغرب)، ط2، 1997، ص45

³ - ينظر: جان ريكاردو، قضايا الرواية الحديثة، تر: صياح الجهم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977، ص253.

وقد قدم ميشال بوت فيها الصدد تحديدا دلاليا لكل زمن من الأزمنة، وكيف تتقاطع فيما بينها داخل النص الحكائي:¹

أ/ زمن الحكاية أو المغامرة: (LE TEMPS DE DHISTOIRE) هو أقل مستوى زمني يسند إليه اهتمام القارئ، باعتباره الخيط الرابط بين الأحداث المحكية في سيرورته الدياكرونية من ماض لحاضر فمستقبل، إنه باختصار الزمن الخاص بالأحداث والوقائع المروية.

ب/ زمن الكتابة (LE TEMPS DE L'ECRIURE): يتعلق الأمر هنا بالمدة الزمنية التي يتطلبها فعل سرد الأحداث، على أن مسألة إدراكه قد تزداد صعوبة حين لا توجد أية إشارة دالة على تاريخ الشروع أو الانتهاء من كتابة العمل المدروس

ج/ زمن القراءة (LE TEMPS DE LA LECTURE): وهو لا يعني زمن القارئ بقدر ما يعني المدة الزمنية التي سيحتاجها القارئ لإنجاز فعل القراءة لعمل حكائي معين، وهو الزمن الحقيقي الذي سُردت فيه أحداث الرواية، وفق نسق زمني متسلسل، فقد بدأت أحداث روايتنا (الطريق إلى شارع يافا) قام بتحديد زمني واضح، وذلك من خلال الإشارة إلى السنة التي بدأت فيها أحداث روايته "صيف ستة وتسعين وتسعمائة وألف"²، فقد حدد الروائي الزمن المضبوط لبداية القصة، ومن جهة أخرى فقد حدد كذلك الزمن الحقيقي لنهاية أحداث روايته "الرابع من أيلول 1997"³ وهو اليوم الذي نفذت فيه العملية الاستشهادية الثانية والتي كانت ختام قصته، والملاحظ في زمن سرد هذه الرواية هو ووقوعها بين عامي 1996 و 1997، وحدد ذلك الكاتب بدقة أكثر عندما حدد الفرق بين نهاية وبداية روايته، يقول: "قبل عام ونيف"⁴.

ويليه مباشرة تحديد أكثر دقة "كانا يطويان المسافة ركضاً كالريح التي اختفت في ليل حزيران"⁵.

¹ - ينظر عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي، مقارنة نظرية، مطبعة الأمنية زنقة دمشق، الرباط، ط 1، 1999، ص: 143 -

² - عمار الزمن، رواية الطريق إلى شارع يافا، ص 08.

³ - المصدر نفسه، ص 292.

⁴ - المصدر نفسه، ص 08.

⁵ - المصدر نفسه، ص 08.

فكانت إحدى ليالي حزيران من عام 1996 الوقت الطبيعي لبداية أحداث هذه الرواية، وهو اليوم الذي اجتمع فيه خليل لأول مرة مع محمود ومجموعته، وسرد بداية تشكل خلية "شهداء لأجل الأسرى" في مدينة نابلس وضواحيها.

ويلي ذلك تحديد الكاتب للتواريخ التي سبقت العمليتين "العاشر من تموز قبل عشرين يوماً"¹؛ فكان يحدد بالضبط الزمن الفعلي لكل حدث ووصفه.

1/ المفارقات الزمنية:

لكل مفارقة زمنية مدى (portée) واتساع (amplitude) فحسب جيران جنيت المفارقة الزمنية: "يمكنها أن تذهب في الماضي أو في المستقبل، بعيدا كثيرا أو قليلا عن اللحظة،.. إننا نسمي مدى المفارقة هذه المسافة الزمنية، ويمكن للمفارقة أن تغطي نفسها مدة معينة من القصة، وهذه المدة هي ما نسميه اتساع المفارقة"².

ونعني بذلك توقف استرسال الحكيم المتنامي، وافساح المجال أمام نوع من الذهاب والإياب على محور السرد انطلاقاً من النقطة التي وصلتها القصة.

1-1/ الاسترجاع:

يعتبر الاسترجاع من أبرز التقنيات الزمنية، فمن خلاله يتلاعب الراوي بالزمن والاسترجاع هو العودة إلى الماضي وهذا ما جعل الرواية تتميز بفتها وجماليتها في العمل الروائي.

وقد تعددت تسمياته لدى الباحثين واختلفوا في ضبط هذا المصطلح حيث أطلق عليه "حسن بحراوي" أنه: "سرد استذكارى يتشكل من مقاطع استرجاعية تحيلنا على أحداث تخرج عن حاضرن النص لتربط بفترة سابقة على بداية السرد"³؛ ويعتبر الاسترجاع لدى بحراوي أنه استذكار لأحداث في الماضي فيخرج عن الحاضر.

¹ - عمار الزين، رواية الطريق إلى شارع يافا، ص159.

² - جيران جنيت، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ص59

³ - حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصيات)، المركز الثقافي العربي ، بيروت (لبنان)، السدار البيضاء (المغرب)، ط1، 1990 ، ص199.

في حين نجد سعيد يقطين يطلق عليه تسمية "الإرجاع" ويعني استرجاع حدث سابق عن الحدث الذي يحكى¹.

أما عند سيزا قاسم فهو أن "يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود لبعض الأحداث الماضية، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها، والماضي متفاوت من ماض بعيد وقريب"²؛ ويتضح من ذلك أن الاسترجاع هو السير (العودة) للوراء لاستذكار أحداث ماض القصة قبل حاضر زمن السرد.

وفي "الطريق إلى شارع يافا" نجد استرجاع يوسف لإحدى العمليات التي قاموا بها "كنا مستعدين جدا - يقول يوسف - راقبنا الطريق لأيام عدة رصدنا حركة الجيش والمستوطنين وأخذنا جميع احتياطاتنا وفي اللحظة الأخيرة ما قبل التنفيذ صمت قليلا وهو ينظر إلى عيني خليل، كشف المتطفلون مخبأ سيارة التنفيذ..."³؛ وفي رحلة الذكريات وما كان يجذو بين المجاهدين من حوار حول ما كان منهم من رصد للعدو، وكيف يتحسسون أعين الجواسيس بنفس نظراتهم اتجاه المستوطنين وجيش الاحتلال ففي تلك الفترة كان أسوء شيء قد يحدث لأي خلية جديدة هي أن يتم كشفها بشكل مبكر.

ويقول مسترجعا الأحداث التي كانت تدور في تلك الأيام عن أهمية سرية العمل قائلا: "فالضفة الغربية حينذاك كانت تشهد عمليات قتل للجنود والمستوطنين، وفي القدس عمليات قتل للجنود ينجح بعضها جزئيا ويفشل الآخر، مجموعات لا ترتبط ببعضها ولا تعلن عن عملياتها حفاظا على استمرارية العمل"⁴.

فالحرب لم تكن حينها حرب عمليات عسكرية بل أيضا حربا أمينة كانت تدور بين المجاهدين ومخابرات العدو والتي كانت تبذل الكثير من الجهد لكشف المجموعات والخلايا التي كانت تربك الاحتلال بعشرات العمليات المقاومة.

¹ - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن ، السرد ، التبئير) ، المركز الثقافي العربي ، بيروت (لبنان)، الدار البيضاء (المغرب)، ط3، 1997، ص77.

² - سيزا قاسم، بناء الرواية، (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2004، د.ط، ص55.

³ - عمار الزبن، الطريق إلى شارع يافا، ص20.

⁴ - المصدر نفسه، ص96.

ولم تختلف خلية "شهداء لأجل الأسرى" كثيراً عن غيرها، فقد وضعت هدف تحرير الأسرى غايتها من العمليات التي تنفذها.

ومن أمثلة الاسترجاع أيضاً حديث سائق التاكسي العجوز إلى أبو أيمن بينما يستطلع مكان العملية القادمة حين عاد به إلى السنوات التي سبقت النكبة، فقال يصف الوضع: "عندما أنهت بريطانيا احتلالها لفلسطين سلمت أسلحتها الثقيلة لليهود حتى تنهي مهمتها التي بدأتها أيام وعد بلفور"¹ فكانت هذه شهادة العجوز التاريخية اتجاه ما حدث قبل النكبة من طرف الاحتلال البريطاني ثم الصهيوني والذي أصلاً كان مدعوماً بريطانيا بعد وعد بلفور.

الفكرة التي كانت يؤمن بها مجاهد وخلية شهداء لأجل الأسرى، اتجاه العمليات الاستشهادية سردها الروائي مستذكراً كلام أحد أبطال عملية طريق بن يهودا، يوسف عندما قال: "ما أعرفه ويدرك عقلي -يقول يوسف- أننا لا نطلب الموت لذاته وإلا أصبحنا انتحاريين هدفنا وضع حد لحياتنا وهذا حرام وفق المنطق الديني والديني ولكن!! -وهنا فلسفة الأمر- نطلب الموت حتى توهب الحياة لشعبنا..."² وأتبع ذلك باسترجاع آخر يؤكد كلام يوسف عندما استحضر حال المقاتلين المجاهدين قائلاً: "لم يكن المقاتلون منعزلين عن القراءة والمتابعة وتحديداً في موضوع ساعتهم (العمليات الاستشهادية)، فقد تتبّعوا ولاحقوا كل صغيرة تحاربها وكل كبيرة تساندها كفتوى الشيخ العلامة يوسف القرضاوي الذي أجازها ضد العدو الصهيوني كأرقى أنواع التضحية"³، فالمجاهدين حينها لم يكونوا مجرد أشخاص بدون رصيد معرفي ديني، بل كانوا متشبعين بروح إيمانية كبرى تجعلهم يقدرون شعبهم بأرقى أنواع التضحية، وهي العمليات الاستشهادية التي كانت أجسادهم فيها تتمزق وتأخذ معها أجساد الصهاينة المحتلين لهذه الأرض الطاهرة المقدسة.

ينتقل بنا الروائي إلى آخر السويقات التي سبقت علمية سوق مخي يهودا "قبل ثلاث ساعات - كان السهر مع الاستشهاديين عظيماً، لم يتكلم فيها خليل كثيراً، كفته أنفاس معاوية وتوفيق اللذين

¹ - عمار الزبن، الطريق إلى شارع يافا، ص163.

² - المصدر نفسه، ص175.

³ - المصدر نفسه، ص177.

تجاوزا عن الشهادة والجنة¹ في لية سهر الخلان تصورت لنا تلك المشاهد التي جمعت رفاق الشهادة على مجمع صدق قل نظيره.

تتسارع الأحداث ويعود بنا الراوي إلى آخر دقائق "قبل نصف ساعة... كانت الأرض ترتج من تحت قدمي، تهنني كلما تقدمت خطوة إلى الأمام، تريخني ابتسامة توفيق الذي كان يسير منتصباً مداعباً توترتي الذي لا يراه"² السير مع رجلين ستراهما لآخر مرة لم يكن هيناً على أبو أيمن عكس الاستشهاديين وكأتهما يسيران بخطوات ثابتة نحو الحياة لا نحو الموت، يتفقان بأن الذين يموتون في سبيل الله أحياء عند ربهم، كانوا متشبعين بهذه الفكرة الربانية.

بعد تنفيذ كل من معاوية وتوفيق العملية، حلقت روحه في خبايا الماضي، وأسرته الشعور وهو يستحضر حالة قائده محمود أبو هنود النفسية قائلاً: "لكن محمود أبو هنود الذي يعيش ذات الشعور المتناقض، الفرح بنجاح العملية والإثخان بقتلة الأطفال والنساء، ومن جهة أخرى الحزن على فراق معاوية وتوفيق"³؛ تناوب على محمود الشعور بالفرح لتوفيقهم في تلك العملية، غير الشعور الحزن على فراقه إخوته الذين قضى معهم سنوات من الجهاد، وما إن يهدأ روعه قليلاً حتى يعود إليه تفكيراً "منصباً على الأسوء الذي لم يحدث حتى تلك اللحظة، حال كشف هوية معاوية وتوفيق والعملية العسكرية التي ستواكب ذلك من هدم البيوت والاعتقالات"⁴؛ فالاحتلال عندما يتعرف على هوية منفذي العمليات أحياء كانوا أم شهداء، يعاقب عائلاتهم فيما يعرف بالعقاب الجماعي، فيمارس الاحتلال بذلك جرائم تضاف إلى سلسلة جرائمه عبر التاريخ، وكل هذا كي يحاول التغطية على الصدمات التي تخلفها العمليات الاستشهادية.

بعد أن هدأت الأوضاع ووضعت العملية الأولى أوزارها، بدأ التخطيط العمل فدائي آخر وتحديداً قبل عشرة أيام من الموعد بدأ الاتفاق "على الخطة المبنية على الرصد القديم والاستطلاع الحديث، وسيقوم خليل بعرضها على معاذ دون التفاصيل الخاصة بعمل مجموعة التنفيذ مبقياً ذلك سراً"⁵؛ وهنا

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص208.

² - المصدر نفسه، ص216.

³ - المصدر نفسه، ص235.

⁴ - المصدر نفسه، ص240.

⁵ - المصدر نفسه، ص257.

يسترجع أبو أيمن بداية التخطيط للعملية الثانية بدءاً بعملية الاستطلاع ورصد مكان العملية. وفي خضم الاستعداد لزلزلة أمن سلطات الاحتلال، رجع أبو أيمن بالتاريخ إلى انتفاضة الحجارة قائلاً: "كنت أرى ما نفعله بالحجر والمقلاع والصدر العاري في مواجهة الرصاص زمن انتفاضة الحجارة أواخر الثمانينات من القرن العشرين، صناعةً للتاريخ وكتابةً للمجد في صفحات لا يهتدى إليها غير دمنا ولحمنا"¹ فكان عمله مع أولئك الرجال الفدائيين المضحيين الذين يدفعون حياتهم ثناً للحريّة، أيقن حينها معنى تلك الصناعة التي ستبقى مخلدة في التاريخ وسيكون بعد أيام لقليلة إخوته جزءاً من هذا التاريخ المخلد.

وقبل ستة عشرة ساعة من العملية، يروي لنا أبو أيمن آخر لمسات الخطة فيقول: "عدت مرة أخرى إلى شارع يافا قبل الانطلاق بيومين حتى أقوم بالاستطلاع النهائي خشية حدوث تطورات في ساحة التنفيذ فتعيق العملية أو تفشلها"²

ومع العودة إلى شارع يافا أخذ يحدونا شعور خشية الوقوع في حدث يعيق عملنا الفدائي فتكون سبباً في إعاقة العملية الاستشهادية، وهذا ما جعل من العمل الجماعي يوطد أواصر المجموعات الثلاث و"تعمل كخلية نحل يحركها دافع مركزي واحد، إنجاح العمل، لكن حدة التوتر التي صاحبت التحرك في العملية الأولى خفت أثناء التجهيز للثلاثي"³ ما إن تم العمل الجماعي حتى تظهر بوادر انخفاض حدة التوتر وكأنه دافع نفسي لحق بمجريات العملية. عندما بدأ التحرك نحو شارع يافا وبالتحديد نحو هدف الخلية طريق بن يهودا، يتبدد كل تراجع محتمل ويمضي المجاهدون بثباتهم الأسطوري ليرسموا لوحة الفداء الفلسطيني فيعبر عنها أبو أيمن عندما استرجع آخر لحظة من العملية فقال: "فاحترقت أحلام صهيون وتمزقت أوهامه وسال دم كذبه على الأرض، وعندما سمعت صوت الانفجار الثالث والسائق يخرج بي من الشطر الغربي للمدينة المحتلة، أدركت حينها أنني الخاسر الأوحـد وقد ربح بيع خليل ورفيقه"⁴. كانت هذه آخر كلمات فصول روايتنا التي عاد بها أبو أيمن إلى شعوره المتناقض لين فرحه بالعملية وإدراكه أن

¹ - عمار الزبن، الطريق إلى شارع يافا، ص 279.

² - المصدر نفسه، ص 284.

³ - المصدر نفسه، ص 293.

⁴ - المصدر نفسه، ص 320.

الفائز اليوم ليس من عاش، بل من فدى بجسده دينه ووطنه وشعبه كخليل ورفيقه بشار ويوسف.

2/ الاستباق (الاستشراف):

يعتبر الاستباق ثاني تقنيات المفارقة الزمنية، وهو يتجه نحو المستقبل على عكس الاسترجاع الذي يعود إلى الوراء لاسترجاع الذكريات.

ولقد أطلق عليه "سعيد يقطين" تسمية "الاستباق (Prolepse) ومعناه حكي شيء قبل وقوعه"¹؛ وهذا يعني أن الاستباق التطلع للأمام وتوقع حدوث شيء قبل وقوعه.

وعرفه "جيرالد برنس" على أنه: "أحد أشكال المفارقة الزمنية (Anachrony) الذي يتجه صوب المستقبل انطلاقاً من لحظة الحاضر"².

ويقول "جيرار جنيت": "من الواضح أن الاستشراف أو الاستباق الزمني، أقل تواتر من المحسن التقيض"³؛ وهذا يعني أن الاستشراف أقل تكرار من الاسترجاع في السرد الروائي.

فالاستباق في العمل الروائي يمثل لحظة فارقة يستشرف فيها الروائي حدثاً يمس لب موضوع روايته، ولا يخلف العمل الذي بين أيدينا والمتمثل في رواية "الطريق إلى شارع يافا" عن ذلك، فقد كانت الرواية حافلة بعدد معتبر من الأحداث الاستشرافية أو الاستباقية، التي استطاع بها نقلنا زمنياً لتصور المستقبل الذي كان يتوقعه أبطال المقاومة الذين رواهم وروى عنهم روايته

في "الطريق إلى شارع يافا" مواضع عدة منها حديث أيمن مع خليل المكوم باستشهاد المهندس يحيى عياش عندما قال له: "وشعبنا وحركتنا سينجبان من يحمل الراية"⁴؛ فكلام أيمن المصدق بأن هذه الأمة لا تتوقف عن إنجاب من يسود وجوه الصهاينة، وفي ذلك الوقت كان المهندس يحيى عباس أبرز القادة الذين مرغوا أنوف قادة الاحتلال. وفي خضم الأحداث التي توالى وفي حوار خليل مع محمود حول الإمكانيات القليلة المتوفرة لديهم وحول التخطيط الذي استطاعوا هزيمة مخابرات الاحتلال، قال

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص 65

² - جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر و المعلومات، القاهرة (مصر)، ط 1، 2003، ص 15.

³ - جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتمد، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، الهيئة العامة للطباعة الأميرية، ط 1، 1997، ص 76.

⁴ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص 59.

خليل: "حتى يأذن الله - عز وجل - وتتوفر لدينا الأسباب والإمكانات التي تمكننا من إنشاء جيش التحرير"¹ فجاء هذا الاستباق من خلال مبشراً ومستشرفاً لإنشاء كتائب القسام، جيشٌ كاملٌ متكاملٌ للتحرير، وهو الأمر الذي رباهم عليه شيوخهم وقادتهم فزرع اللبنة الأولى يكون بالفكرة ثم يتطور للميدان، وهذا ما استشرفه خليل في حديثه السابق الذكر.

وفي حديث آخر دار بين خليل ومحمود حول رغبة محمود في أن يكون أحد المنفذين للعملية الاستشهادية قال: "وتأكد أن الله سيهيئ لهذا الشعب المظلوم رجالاً أفضل منا بكثير"²، إن رؤية محمود استبقت الكثير من الأحداث القادمة، وهو يظهر كذلك الثقة الكبيرة التي كان القائد محمود يؤمن بها في الله، وأن الرجال الصادقين سيظهرون في كل زمان، وأن المقاومة لا تتوقف حتى التحرير.

اللحظات الأخيرة التي سبقت عملية وسوق محني يهودا حملت الكثير من الأحاديث والحوارات التي دارت بين أبطال المقاومة وخاصة منهم الاستشهاديين، ومنهم توفيق الشاب الذي ضحى بحياته وفدى دينه ووطنه وشعبه بجسده وروحه، فقال وهو يستبق ما يلي العملية قائلاً: "حسبي وإياك أننا سنحفظهم بدمائنا حتى لا يزحف اليهود داخل بيوتنا"³. إن العمل الفدائي الذي كان مقبلاً عليه توفيق ومعاوية كان أرقى أنواع التضحية، فهو يؤمن أن ما يقومون به حفظ للدين والأرض والأهل، والموت ما هو إلا دفعة لحياة ستأتي من بعدهما.

في العشاء الأخير الذي سبق عملية محني يهودا المنتظرة، نجد كيف استطاع الروائي توظيف الاستباق في أكثر من موضع نحو قوله: "أنا أتناول العشاء مع فدائيين مجاهدين استشهاديين سيتمزق جسداهما غداً فداءً لدينهما ووطنهما الغالي"⁴، "هذا الرجل سيكون آخر من سترونه في الدنيا غداً"⁵، "وما زالت المفاجأة السعيدة تصنع منهما طائرين على السماء سيحلقان غداً في سماء غير سمائنا"⁶

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص 83.

² - المصدر نفسه، ص 155.

³ - المصدر نفسه، ص 183.

⁴ - المصدر نفسه، ص 196.

⁵ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁶ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وكما جاءت في تصوير الغد المنتظر وأخويه الاستشهاديين، فجاءت الاستباقات في تصوير الأحداث التي سيشهدها السرد بعد تنفيذ العملية، وكلها كانت عن الاستشهاديين وعمليتهم المنتظرة.

وفي نفس الليلة وفي بيت آخر، كان معاذ يصفُ أسطر البيان العسكري، "هذه مقدمة البيان الذي سيهز العالم"¹، كلمات ردها معاذ وهو يستبق ردة الفعل العالمية بعد العملية الاستشهادية والبيان الذي سيحرك العالم، فالعالم ذلك الوقت لم يتعود على العمليات الاستشهادية الكبيرة. ولفت الروائي نظر القارئ إلى كم التي يقومون بها فداءً للدين والوطن.

وفي صباح علمية محني يهودا وبعد ليلة شاقة لمهندسي الحقائق المتفجرة، نسيم وجاسر يطمئنان الأخير صاحب قائلًا: "سينتهي كل ذلك عند رؤية أجساد المحتلين تتطاير في السماء"²؛ بتسارع واثق من نجاح العملية وأن كل تعب الأيام الماضية في التخطيط وتجهيز الحقائق سينتهي حتمًا عند رؤية الصهاينة أشلاءً تتطاير، وسرد الروائي لهذه اللحظة من الحوار كان يريد به استحضار شهداء فلسطين الذين تمزقهم طائرات الاحتلال المتطور، فبالغد سينتقمون لكل الشهداء.

وفي استباق قلما نجد مثيله في أي عمل ما قاله معاوية قبل سويغات من استشهاد "غداً ونحن على أبواب الجنة والشهداء يقاطرون إليها كل يأخذ مكانه الذي وعده به يأتي دورنا فيخرج علينا القائد الأعظم والنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم واضعاً راحيته على كتفينا مستأذناً ملائكة الرحمن..."³ ويكمل توفيق كلام أخيه "هذان صاحبي يدخلان الفردوس الأعلى برفقتي، لقد صدقا الله فذاذا عني بدمهما وحانت لحظة الوفاء والاصطفاء"⁴؛ تتوقف هنا وتنتهي الكلمات التي يمكن بها وصف هذا الكلام، فهنا ورغم أن استشرافهما لم يكن للمستقبل القريب ولا البعيد، بل ليوم وراء الزمن الذي يكون فيه اليوم أربعة وعشرين ساعة والعام ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، استبق كل حدث، هذا يدل على قدر الإيمان الذي تشبعا به قبل أن يستشهدا فداءً لما يؤمنان به.

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص 203.

² - المصدر نفسه، ص 203.

³ - المصدر نفسه، ص 208.

⁴ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها

أبو أيمن راوي هذه الحكاية العظيمة كان له أيضاً نصيب من استباق الحدث الذي كانوا على وشك القيام به، وهي العملية الثالثة في طريق بن يهودا، عندما قال: "هذه المرة سيتأسف ننتياهو على كل الجرائم التي يرتكبها العدو ضد شعبنا"¹ فنتياهو أحد أكبر المجرمين في تاريخ الحركة والكيان الصهيوني، بل ربما هو الأكثر إجراماً حتى من سالفه بن غوريون وموشيه ويان وغيرهم من أرباب الإجرام والإرهاب. والعملية التي كانوا على وشك القيام بها ستجعله يندم على كل لحظة أصدر فيها أمراً بقتل كل طفل أو امرأة... أو مقاوم، فأبو أيمن يعرف تماماً أن الهزة التي سيصاب بها نتن ياهو لا يكفي مقياس رختر لقياسها. بهذا فقد قالها متأكداً منها سيكون هذا الاستباق يمثل الرؤية التي كان يريدتها كل فلسطيني.

إن الملاحظ أيضاً فيما تم تدوينه واستخلاصه من الاسترجاعات والاستباقات التي وظفها الأسير عمار الزين في روايته "الطريق إلى شارع يافا" والتي كانت تخدم فكرة الرواية التي أراد الأسير إيصالها لنا، وجود توازن بين الاستباقات والاسترجاعات، فالرواية كانت عبارة عن استذكار الروائي لأحداث وقعت وكان جزءاً منها، وبالتالي فإن أغلب الاسترجاعات جاءت على لسان الراوي إلا عدد قليل آخر جاء على لسان شخصيات الرواية.

والسبب في ذلك أن الروائي كان يسرد أحداث تاريخية سابقة بالنسبة له وهو الذي عاش فصول روايته قبل أكثر من عشرين سنة، فكان في كل مرة يسترجع أحداث تلك العمليات والقصص التي كانت بينه وبين إخوته من المجاهدين الذين كانوا شخصيات لروايته.

وعلى العموم فإن الاسترجاعات التي عادت من الروائي، حملت الأفكار التي كان يؤمن بها مثل فكرة أسر الجنود التي ظهرت بقوة في ذلك الوقت ولا تزال حية اليوم في فكر إخوته في كتائب القسام والمقاومة عموماً، وكذلك فكرة الاستشهاد التي صرح بها توفيق، وكذلك كان يسترجع بعض الأحداث العملية التي كان يقوم بها مثل استرجاعه لحظات استطلاع له لملكان العمليات، وكذلك استحضاره عمل خلايا وحدة الشهداء لتحرير الأسرى قبل كل عملية.

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص 257.

استطاع الروائي توظيف الاستباقات والاسترجاعات بما يخدم التوجه الذي يريد تصويره، وهو توجه المقاومة والجهاد المسلح، وهذا ما يميز أدب المقاومة حين يسرده أسير، وأدب السجون حين يسرده مقاوم، كانا معاً في شخص الروائي المقاوم والأسير عمار الزين.

وعلى العكس من ذلك، فالملاحظ أن أكثر الاستباقات والاستشرافات كانت تورّد على لسان شخصيات روايته، فبالنظر إلى ما تم تقديمه من مختارات، فالاستباقات التي كانت تخدم فكرة الرواية كانت تساعد القارئ على فهم الفكر الذي كانت شخصيات الرواية تؤمن به، فكما سبق وقلنا فإن كل شخصيات الرواية التي أوردتها الروائي هم مجاهدون عمل معهم من واختلط بهم وعاشهم، فالاستشرافات التي كانت تصدر منهم عبارة إشارة من الروائي لما كان يتنبأ به المقاومون قبل عشرين سنة مثل فكرة الجيش التي جاء بها خليل أو فكرة الاصطفاء التي كانت تراود معاوية وتوفيق قبل إقدامهما على العملية الاستشهادية، وكذلك الإيمان الراسخ الذي كان عند محمود بقدره فلسطين على إنجاب المجاهدين والقادة الذين سيحملون المشعل بعدهم، فكانت هذه بعض الأفكار التي أراد الروائي تمريرها إلينا لفهم حقيقة شخصيات روايته، ولم تخلُ الرواية من استباقات للراوي، فقد تقمص شخصية وهو معهم عندما كان يستبق أحداث ما بعد تنفيذ العملية الاستشهادية، فقد كان يعيش ذاته ذلك الوقت وعاد بالزمن إلى كلماته التي كان يرددها في تلك اللحظات وهو برفقة الاستشهاديين.

2/ الإيقاع السردى:

يُطلق عليه جيرار جينيت "سرعة النص"¹. "وبلحظة القارئ من خلال فعل المقارنة بين زمن الحكاية وزمن الخطاب"¹؛ حيث يكون زمن الخطاب متسارعاً أو متباطئاً، ويكون الأول من خلال

¹ - ينظر: جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ص102.

حذف أو تلخيص بعض من زمن الحكاية، ويكون الثاني من خلال تغليب الوقفات والوصفية والمشاهد الحوارية.

2-1/ تسريع السرد:

ويكون تسريع السرد باستخدام طريقتين يستعملهما الروائي محاولاً تجاوز بعض الفترات الزمنية خلال سرده للأحداث، فيختار تارة الخلاصة أو التلخيص عندما يريد تجاوز فترة زمنية مستخدماً عدداً قليلاً من الكلمات، ويستعمل الحذف عندما يريد تجاوز فترة زمنية أو حدث ما دون الإشارة لها، فيغض الطرف عن تلك الفترة الزمنية من الأحداث بإسقاط مقاطع سردية كاملة.²

أ/ الخلاصة:

وهي إيجاز زمن الحكي مقارنة بزمن الحكاية، وقد استعمل الروائي هذه الطريقة في بعض من فقرات روايته، ومنها سرد الراوي لأحداث هروب معاوية وتوفيق ويوسف وبشار من سجن السلطة فقال: "استمرت المراقبة طيلة أيام عدة، حتى حانت الفرصة المطلوبة"³؛ ولخص الراوي هنا كل أيام المراقبة دون التفصيل فيها.

وفي تلخيص آخر تجاوز فيه الراوي بعض التفاصيل عند ذهابه إلى القدس للاستطلاع ومراقبة موقف حافلات صهيوني في التلة الفرنسية، قال: "فغادرنا حي المصراة الفاصل ما بين حدود المدينة الغربية المحتلة عام ثمانية وأربعين والشرقية المحتلة عام سبعة وستين وتسعمائة وألف، ثم عرجنا على حي الشيخ جراح فمستشفى العيون، حتى وصلنا التلة الفرنسية"⁴.

من أمثلة استخدام الروائي لأسلوب التلخيص أيضاً قوله: "ثم بدءا بكتابة البيان حتى إذا ما أنهيا بالتوقيع (وحدة الشهداء لتحرير الأسرى... كتائب القسام الذراع العسكري لحركة المقاومة

¹ - عبد الله بن صفية، المتخيل التاريخي في الرواية الجزائرية: جدلية المرجع والمنجز السردية (رسالة دكتوراه من جامعة باتنة 1، ص177).

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

³ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص29.

⁴ - المصدر نفسه، ص77.

الإسلامية حماس"¹؛ فلم يذكر الروائي أي كلمة مما جاء في البيان سوى التوقيع، فظل سرد ما جاء في البيان إلى حين إذاعته بعد العملية، الأمر الذي يجعل القارئ متلهفاً لمعرفة ما جاء فيه وماهية مطالبهم.

وأتبعه بتلخيص آخر قال فيه: "كررت السفر ورصد المكان في الوقت ذاته، فاستقر الأمر على ذلك وانتقلنا للمرحلة الثانية من العمل"²؛ وكان هذا تلخيصاً شاملاً لعملية الاستطلاع الأخيرة التي أكد بها المعلومات التي كانوا يحتاجونها من أجل العملية، وكى لا يكرر كل الأحداث، اختصر الأمر على نتيجة استطلاعه.

وخلال تجهيز أبو أيمن واستعداداته مع المقاتلين، لخص لنا "خمسة أشهر صعبة، ثقيلة على النفس، تراوح فيها مكانك، لا تقيسها بالمهمات فهي كثيرة: رصد، تدريب، خدمات للمقاتلين، بحث عن السلاح الصحيح..."³؛ فاستطاع أبو أيمن تلخيص كل الأشهر الخمس الماضية في عمله الجهادي الذي كان يبذل فيه كل دقيقة من وقته.

وفي طريق المجاهدين إلى شارع يافا لتنفيذ العملية الأولى في سوق محني يهودا، تجاوز أبو أيمن خلال حديثه بعض الأحداث فقال: "وبعد مسافة من السفر مررنا فيها عن طريق بن يهودا والمفترق الرئيسي، وصلنا قبالة سوق محني يهودا، معقل اليمين الصهيوني المتطرف"⁴؛ فضل أبو أيمن تلخيص كل الرحلة بذكر مكانين فقط طوال مسافة السفر وهي طريق بن يهودا، والتي سيكون لها عودة في العملية الثانية، وسوق محني يهودا مكان العملية التي هم بصدد تنفيذها، ولم يخرج لوصف المكان بأكثر من جملة واحدة لخصت كل شيء بقوله عن الصهاينة المتحولين هناك اليمينيين المتطرفين وهم أشد الصهاينة عداوة وأكثر إجراماً بقيادة حزبهم الليكود والذي سبق للكاتب⁵ وأن أشار إليه عند وصفه سوق محني يهودا بأنه معقل لهذا الحزب المتطرف وقائده المجرم بنيامين نتنياهو.

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص201.

² - المصدر نفسه، ص78.

³ - المصدر نفسه، ص110.

⁴ - المصدر نفسه، ص219.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ص164.

وبعد أن ضحت عملية سوق محني يهودا مضاجع بني صهيون وتركهم يتخبطون دون معرفة منفذي العملية. وشيئاً فشيئاً خفت القيود الأمنية على شارع يافا ويعود الروائي ليسرد لنا تلك اللحظات التي عاد فيها أبو أيمن إلى القدس وشارع يافا للاستطلاع، فعاد مرة أخرى ليلخص... استطلاعاه: "تحقق الهدف الأول لعملية الاستطلاع وتمكنت من دخول القدس، القدس الشرقية، ثم تحقق الهدف الثاني جزئياً بمعرفة حجم الاستنفار الأمني الظاهر لقوات الاحتلال في القدس الغربية عبر جمع المعلومات دون إثارة الشكوك..."¹ فلم يسهب كثيراً في وصف حجم الاستنفار أو طريقة جمعه للمعلومات دون إثارة الشكوك، فلخص كل ذلك فيه الاقتباس المذكور سابقاً، فاستطاع الراوي طي فترات زمنية. ووصفه باقتصاد زمني مميز واختزال كل الأحداث التي مرت في بضعة أسطر دون ذكر تفاصيل العمل الذي قام به.

ب/ الحذف:

ومثل الخلاصة، فإن الحذف يعمل على تسريع إيقاع السرد هو الآخر، غير أن الفرق بينهما يكمن في أن الحذف يسقط فترات زمنية ومقاطع سردية كاملة، فهو أعلى درجات تسريع النص السردية. وفي روايتنا الكثير من صور الحذف التي استعملها الروائي خلال صفحات الطريق إلى شارع يافا، ومنا يقول: "لقد عافت أنوف الأشجار رائحة الغرباء التي اغتصبت الهواء منذ عشرات السنين وهي تتحرش ذهاباً وإياباً في الحقل"²؛ وكان الروائي هناك يصور الصهاينة الغزاة بالغرباء الذين احتلوا هذه الأرض منذ 48 عاماً على الأقل.

وفي موضع آخر والراوي يسرد قصة سجنه، ولم يكن قد أتم سنته السادسة عشر فقال: "حتى غدوت أسيراً في سجون العدو سنتان وثلاث، ثم تبعها أسر آخر"³.

فحذف كل التفاصيل المتعلقة بسجنه وأشار لها فقط بالسنوات التي قضها بين جدران السجن التي ابتلعتها داخلها مراراً.

ومن صور الحذف أيضاً: "آلاف الحناجر تطالب بالقصاص من المحتل، بعد أن غاب العمل

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص 254.

² - المصدر نفسه، ص 51.

³ - المصدر نفسه، ص 75.

الاستشهادي أكثر من تسعة شهور وهي الفترة الأولى منذ أن بدأ هذا المشروع"¹؛ وهنا حذف الروائي فترة كاملة لغياب العمليات الاستشهادية والتي سيعيدها بعد أسابيع وحدة الشهداء لتحرير الأسرى بعملياتهم في سوق محني يهودا.

إن السجون وخاصة سجون الظلمة والمحتلين وخاصة منهم الصهاينة هي أبشع السجون على الإطلاق، فبمجرد دخولك هناك يتوقف الزمن، تمر عليك الأيام والشهور وحتى السنوات دون أن تلاحظ ذلك، وهذا ما أراد الروائي أن يخبرنا به عندما كان يسرد لنا الفترة التي تلت خروج معاذ من السجن عندما قال: "كما تعودت أن تفعل ذلك منذ زمن بعيد والوالد والأولاد والزوجة ولاحقاً الأحفاد، يدخلون ويخرجون من الأسر"²؛ هكذا كان الأمر كلمح البصر، تعود كل بيت في فلسطين على الأسر، روائينا عمار الزين يعرفه تماماً، وهو الذي لا يزال حتى اليوم حبس سجون بني صهيون.

وفي إطار استعدادهم للعملية الأولى في سوق محني يهودا، قال الراوي: "بعد عدة أيام من زيارة خليل لزاوية الهندسة وتأكدته من إنجاز دائرة معاذ لعملها، أرسل معاذ إشارة للمجاهد الأسير عبد الناصر عيسى في محبسه بسجن عسقلان عبر والده الشيخ أثناء زيارته لشقيقه عثمان، يخبره بها بالشفيرة الكلامية عن اقتراب الوعد"³؛ وحذف هنا عدة أيام تلت قيام خليل بالتأكد من جاهزية كل وحدة لعملها، وكان ذلك للدواعي الأمنية التي فرضت ذلك.

بعد العملية سكن المجاهدون في وحدة الشهداء لأجل الأسرى وخف نشاطهم في انتظار انخفاض حالة الاستنفار لدى العدو الصهيوني، بعدها "مر عشرون يوماً ومازال العدو يتخبط فانخفضت على ضوء ذلك حدة الهجوم الإعلامي"⁴؛ فحذف الراوي هنا فترة زمنية كاملة، ودل عليها بفعل الصهاينة الذين لم يستيقظوا بعد من كابوس محني يهودا.

استعمل الروائي للخلاصة والحذف في عدة مواضع في فصول روايته محاولاً القفز الزمني تارة، والمرور على بعض الأحداث وإيجازها تارة أخرى. فمواضع التلخيص التي بدت في هذه الرواية مما

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص95.

² - المصدر نفسه، ص124.

³ - المصدر نفسه، ص182.

⁴ - المصدر نفسه، ص248.

اخترنا جاءت ما كان منها مروراً لبعض التفاصيل لكي يتجنب إعادتها مثل واقعة استطلاعها للمرة الثانية، ولكي يتجنب شعور القارئ بالملل لإعادة نفس الأحداث، ومنها ما كان تشويقاً لحدث قادم الذكر مثل تلخيصه محتوى البيان العسكري بشكل كامل وإلى حين سرده بعد العملية، وجاءت إحدى أمثلة التلخيص تجاوزاً لذكر الصهاينة، وكما بدا من الرواية فإن السارد حاول في كل مرة تجاوز ذكر الصهاينة إلا في حالات قليلة كانت لهدف معين تمثل في تصوير إجرامهم، وهذا الذي سنأتي على ذكره لاحقاً.

وأما استعماله لتقنية الحذف، فلم تختلف كثيراً عن التلخيص، حيث مسح في بعض المواضع شهوراً أو سنوات، مثل حذفه سنوات السجن ومروره عليها بسرعة، حيث فضل عدم الخوض فيه، وفي مواضع أخرى حذف بعض الأحداث التي أراد بها توجيه القارئ إلى العمل القادم مثل ذكر اقتراب العملية بعد عودته إلى سوق محني يهوداً بعد عشرين يوماً دون التطرق لحالة الصهاينة خلال تلك الأيام.

2/ تبطئ السرد:

ويكون التبطئ بواسطة استراتيجيتين يستعملهما الروائي ليوقف نسق السرد مؤقتاً في محاولة منه لجذب الانتباه لأمر معين، فيستعمل الوقفات الوصفية والمشاهد الحوارية، فتعمل هاتين الاستراتيجيتين على وصف وإبطاء فعل السرد.

أ/ الوقفات الوصفية:

وتتم بإفساح المجال للراوي لعملية الوصف لحده أو مشهد معين، وقد اعتمد الراوي كثيراً على هذه الطريقة في "الطريق إلى شارع يافا" في كثير من صفحات روايته نحو وصف الشيخ يوسف السركجي لخليل يقوه عنه: "...أنني لم ألتق بقائد كخليل الشريف، ألمعي، فطن، استراتيجي التفكير، لا يرتاح ولا يريح، وهذا ما تحتاجه المقاومة لصناعة التحرير ورفع كلمة الله في الأرض".¹ فتوقف السارد محاولاً وصف خليل على لسان يوسف السركجي، وذلك لتوجيه القارئ إلى أهمية خليل في باقي فصول روايته، وعلى المكانة الكبيرة التي يتقلدها في صفوف كتائب القسام في ذلك الوقت.

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص34.

الوصف يعني إبداع الروائي في استعمال الألفاظ خاصة عندما يكون الموصوف مرتبطاً بروح الروائي وقلبه، وهذا ما حدث حين قال: "لم يعق الظلام خط سيرنا ونحن نتلمس الطريق بين أشجار الزيتون، تحتضنا الواحدة تلو الأخرى، تفتح لنا الطريق، تبسم لبناقنا المشرعة، لقد اشتاقت لرائحة الضاد، موسيقى الضاد، فالزيتون في فلسطين يتقن فن الشاعرية، فتراه راقصاً، زجالاً، عاشقاً لا يمكنك أن تراه فتشيع عينيك عنه، أن تستنشقه فلا تذوب بعبيره، أن تلامسه فلا تدب بجسدك الشعيرة انفعالاً...."¹.

وفي وصف الروائي محمود بعد أن أعلن عن قرار البدء لتنفيذ العمليات الاستشهادية "فعاود الصمت، تخنقه العبرات، لم يهين نفسه لذلك، هم قطعة من روحه، كلامهم، لهفتهم، حبهم، نظراتهم، كل حركاتهم وتنفساتهم"²؛ كان يراوح ذهن محمود خيال تلاميذه بل أحباءه وإخوته في الجهاد، وهو يستعد للفراق الدنيوي، ولكنهم على العكس منه، وفرحتهم بقرب الشهادة والنيل من العدو كانت لحظة ساحرة أبدع عمار الزين في وصفها قائلاً: "اهتزت أوراق الشجر، تمايلت الأغصان، تناثرت أنغام العصافير في الهواء تلحن فرحتهم، تحتفل على طريقتهم، ترسمهم في السماء أقماراً من زهور، تراها ولا تقوى على استنشاق عبيرها"³؛ فالحظات التي كان يوسف، بشار، توفيق، ومعاوية يعيشونها لم تكن ليكفيها أي كلام، أشخاص ترتقي أرواحهم إلى العلياء فرحاً قبل أن ترتقي غداً باستشهادهم، عبر عنها الأسير عمار الزين بأفضل ما يستطيع من داخل أسره الموحش بالظلام والظلم.

قبل العملية وفي آخر الدقائق التي سبقت وداع أبو أيمن لإخوته الاستشهاديين، وصف حاله قائلاً: لم أستطع الكلام، انخرس لساني الذي يجب أن يبقى صامتاً في حضرة الشهداء، كنت أقرب من النظر في عيونهم، شجاعتهم، وعيهم، وابتسامتهما التي تلخص التضحية"⁴؛ أن يروي الكاتب لحظات عاشها قبل أكثر من عشرين سنة، ويصف مشاعره ويتذكر وجهي أحب إخوته الاستشهاديين إليه

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص51.

² - المصدر نفسه، ص134.

³ - المصدر نفسه، ص135.

⁴ - المصدر نفسه، ص211.

ليس سهلاً وهو الذي يعي مرارة الأسر، لكنه استطاع من بين تلك الآلام تجسيد حالته في طبق وصفي مميز.

"هذه الأرض عليكم حرام، أحجارها، مساجدها، كنائسها، حدائقها، هواؤها، ترابها، ليمونها، وحتى مزابلها، جميعها عليكم حرام، انظر إلى وجهي جيداً، اقرأ موتك جيداً، ولا تسأل كيف سيأتي موتك غداً".

فكان الروائي في الوقفات السابقة يحاول ربط القارئ بالقصة التي يقاوم ويدافع عنها من خلال التوقف عند وصف خليل وتصوير بطولته المنقطعة النظير، ثم من خلال وصف طبيعة فلسطين التي لا يعرفها سوى من عشقها وذاق مرارة السجن من أجلها، ومرة أخرى يعود الروائي كاشفاً عن عمق خاص جداً في الاستشهاديين، أوصاف لن يعرفها ولن يستطيع أحد كشفها إلا من عايش هؤلاء الذين افتدوا بأرواحهم وأجسادهم الدين والوطن.

لكن ما أبدع فيه الأسير عمار الزين وربما كان هذا ما يميزه كراوٍ لقصة عاشها وعاش تفاصيلها، عندما أخذ يصف المشهد الذي تلا العمليات الاستشهادية، واصفاً ذلك بقلبه قبل قلمه فقال في إحدى الوقفات: "فتمزق الصمت، واحترقت أجساد الصهاينة، وتناثرت أجسادهم في كل مكان، جحيم من نار وشظايا مجبول بغضب لا يوقفه أحد"¹؛ فكان ينتقم لأطفال فلسطين الذين تمزقت أجسادهم الطاهرة بقنابل طائرات المحتل الصهيوني، ثم وقف مرة ثانية "فزغرد سهل مرج ابن عامر وصهلت خيول حطين وعين جالوت... مزقت شظايا قنبلته البشرية كل الغزاة المتواجدين والمهاجرين من ويلات معاوية كتلة من الجحيم والنار أحالت السوق إلى موت وعويل وصراخ"²؛ كانت كل كلمة تلهب غضباً وناراً لا يراها إلا من وعي مقصد الأسير، مقصده الذي أراد به أن يستفرغ ما بقي من غل وحقد وغضب على المحتل الذي ظن الموت بعيد عنه قبل أن يصيبه في عمقه، وحيث ظن أن الحياة الآن قد استوفت ولن تقوم للفلسطينيين قائمة.

كان هذا واصفاً العملية الأولى المزدوجة في سوق محني يهودا، عاد مرة أخرى السارد الأسير عمار الزين من جديد في آخر صفحات مرويته، وأوقف الزمن الذي تلا كل تفجير، بل وأوقف مع الزمن

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص 221.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها

نظر القارئ الذي شعر بتلك السعادة التي كان الأسير يكتب بها انتقام القسام فقال في تلك الوقفات: "فتحول المكان إلى لوحة من الفن الفلسطيني الخالص، والذي رسم القدس بدون الغرباء الذين دفعوا جزءاً من فاتورة الحساب الطويلة قبل أن تشطبهم ريشة خليل"¹، "حينها و خليل ويوسف يعلنان دولة فلسطين في شارع يافا الذي يكاد أن يعانق المسجد الأقصى"².

"فاحتقرت أحلام صهيون وتمزقت أوهامه وسال دم كذبه على الأرض"³؛ لكن كان الأسير عمار الزين في هذه اللوحات الوصفية التي رسم كلماتها بحجر قلمه، يحاول أن يجعل القارئ فخوراً بعمل هؤلاء الأبطال، لم تتمزق أجسادهم عبثاً لقد دمرت أساطير الكيان الصهيوني الأمنية والعسكرية ودفعتها إلى الفراغ، عمليتان في نفس المدينة ونفس الشارع ومكانين لا يبعد أحدهما عن الآخر سوى بأقدام قليلة، ولم يكن بين العمليتين الأولى والثانية سوى شهر وأيام قليلة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يغفل الروائي عن الصهاينة رغم أنه لم يترك لهم المجال لأي حديث، إلا أنه استطاع رسم الوحوش الآدميين في وقفات قليلة لكن معبرة، حيث قال في أحدها واصفاً جن جنود جيش الإرهاب الصهيوني "كان عشرات الجند المدججين بالسلاح بمشطون الجبال، ينتقلون بين الأشجار، ترعبهم طيور الشنار التي تطير فجأة محدثة صوتاً مفزعاً فتسقط قلوبهم بين أقدامهم، يبحثون عن عدو لا يرونه، يشعرون به يراقبهم، يعد أنفاسهم، يتمنون فيه قرارات أنفسهم أن تنتهي المهمة دون غالب أو مغلوب"⁴.

ثم وقف مرة ثانية يصف المحتل الصهيوني: "المحتل قبيح، قدر، سوقي بأصله، ليس بحاجة إلى أدلة تثبت ذلك، فمبدأ الإحلال والفرض والقرصنة والتغول واغتيال الواقع، والمستقبل وتزوير التاريخ وفرض الوقائع الظالمة، جميعها مفردات لجملة خارجة عن نصّ العدل والحق، نسميها الاحتلال"⁵؛ وعاد في وقفة ثالثة يصف المحتلين الصهاينة "و كنت أشير بيدي إلى الطريق المليئ بشذاذ الآفاق،

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص318.

² - المصدر نفسه، ص319.

³ - المصدر نفسه، ص320.

⁴ - المصدر نفسه، ص147.

⁵ - المصدر نفسه، ص169.

قراصنة الأحلام وقتلة الأطفال الذين يظنون بأن دم أطفالنا لن يلاحقهم"¹؛ استخدم الروائي هنا كل الأوصاف التي رآها وعقلها في الصهاينة، فالأسير أكثر شخص يعاني من تجرد الصهاينة من الإنسانية واعتناقهم عقيدة الحيوانية التي تجعلهم يبطشون بالأسرى، فكان من تجربته الطويلة في الأسر قادراً على صنع لوحة الوحش الصهيوني، وفي نفس الوقت صنع لوحة أخرى لوحش خائف من لقياء صياده، وكان الصياد في فكر الأسير هو المقاوم الحر الطليق الذي يذيق جنود بني صهيون ما يستحقونه من موت ورعب.

عموماً لما جاء في الوقفات الوصفية التي اخترناها مما أوردها السارد في روايته "الطريق إلى شارع يافا" وجدنا أن الوقفات كانت معظمها تصويراً ورسماً لأحداث وشخصيات روايته، كمثال وصفه القائد خليل على لسان الشيخ يوسف السركجي، وكذلك وصف توفيق قبل تنفيذ العملية الاستشهادية، وفي وصف الأحداث بطريقة لغوية جمالية لكل اللحظات التي تلت العمليات الاستشهادية، ووصفه فلسطين وهذا رغبة منه لشد القارئ إلى بواطن الشخصيات وملاحظها الداخلية، ولتوجيه القارئ عاطفياً إلى هذه الشخصيات والأحداث وفلسطين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أورد الروائي مواضع وصف الصهاينة، حيث تضمن وصفه لهم أسوأ ما في الصهاينة من أخلاق وملامح الجبن والإجرام التي فيهم، هذا الأمر قصده الروائي ليُشعر القارئ بمدى حيوانية الصهاينة ودرجة جبنهم، رغبة منه لاستصغار هذا الاحتلال ونفي الإنسانية عنهم.

ب/ المشاهد الحوارية:

هي الطريقة الثانية لتبطين السرد، يقحم السارد مشاهد حوارية فيوقف سيرورة الحكى بمنح الشخصيات فرصة للحديث، وفي "الطريق إلى شارع يافا" مشاهد حوارية كثيرة تضمنتها الرواية مثل الحوار الذي جرى بين خليل وأيمن بعد استشهاد يحيى عياش "خليل: أيجوز أن يغادرنى قبل أن ألقاه... لماذا يرحلون ونبقى؟!".

فيوقفه أيمن: لأنها سنة الثوار والمجاهدين"²؛ فالراوي هنا أوقف سرد القصة بالحوار الذي دار بين خليل وأيمن، فوفاة يحيى عياش لم تكن وقعة عادية، فقد كان قائد القسام في الضفة الغربية، فأراد أن

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص317.

² - المصدر نفسه، ص58.

يذكره رغم أنه لم يكن جزءاً من العملية التي كانوا يخططون لها، إلا أن أثره كقائد قدوة كان يدب في روح خليل.

ومرة أخرى يعود الروائي بمشهد حوارى عند اكتمال دائرة الوحدة القسامية الجديدة بقوله على لسان الشخصيات:

"قال الشيخ موجهاً كلامه لخليل: هكذا اكتملت الدائرة. فسارع معاذ بالاستدراك عليه: يا شيخ، دعونا نأسر جندياً!.."

- فقال خليل: سنفعل ذلك بعد تأديب الصهاينة.

لحظتها لمعت فكرة في رأس معاذ بعد أن تأكد استحالة الذهاب لمشروعه:

إذن فلنحي قضية تحرير الأسرى من خلال العمليات الاستشهادية...

- وكيف يكون ذلك؟ - سأل خليل الأسعد من بين الثلاثة، فأجاب معاذ:

وحدة الشهداء لتحرير الأسرى¹

فكان هذا المشهد الحوارى الذي حسم أمر العودة للعمليات الاستشهادية تحت جناح وحدة الشهداء لتحرير الأسرى القسامية.

استعمل الراوى مشهداً حوارياً أثناء استطلاعه لموقع العملية في حديث له مع العجوز سائق التاكسي، "قال العجوز المنقف - عندما أتمت بريطانيا احتلالها لفلسطين سلمت أسلحتها الثقيلة لليهود حتى تنهي مهمتها التي بدأت أيام وعد بلفور، قاطعته بسرعة: ما هذا السوق يا عم؟!

فأجاب: هذا أكبر أسواق القدس قاطبة، سوق محني يهودا².

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص123.

² - المصدر نفسه، ص163، 164.

وبدأت تظهر في خلجات نفسه تلك المواقع الجاذبة لليهود والتي يمكن استغلالها في تنفيذ العملية الموعودة بغية الإيقاع بأكبر عدد من اليهود، فوق اختياره على سوق محني يهودا الذي لم يكن أكبر أسواق القدس فقط، بل معقل حزب الليكود المتطرف وبرئاسة شيطانهم نتيهاو.

بعد العملية الاستشهادية الأولى، كان العمل التالي إذاعة بيان العملية، فكان الحوار بين مراسل وكالة الأنباء الدولية رويترز وجاسر الذي دله على مكان بيان العملية، ليرد عليه المراسل: "بيان ماذا؟! يريد أن يتأكد من الذي بات مؤكداً لديه، فأجابه جاسر: بيان الإعلان عن العملية والمطالب التي نريدها، فسأله وهو يحمل مفاتيح سيارته: ومن أنتم؟. فأجاب: كتائب الشهيد عز الدين القسام"¹.

هذا المشهد الحواري المميز أوقف مؤقتاً نسق السرد لصالح الشخصيات التي ترك لها الروائي مجالاً للحدث. فالبيان الذي نقله جاسر للمراسل كان يحمل أهم رسالة للعملية، وهي التي نجح في توجيهها

المراسل إلى كل وسائل الإعلام العالمية: حركة حماس تعود لعمليات التفجير بقوة والعنوان تحرير الأسرى.

وفي الرواية الكثير من المشاهد الحوارية التي استعملها الأسير عمار الزين لعدة دلالات غير دلالتها الفنية المعروفة من توقيف للسرد وتعطيله إلى دلالات فكرية وإيديولوجية أراد الروائي تمريرها من خلال الشخصيات، أبرزها كان التأكيد على أهمية المقاومة ومدى خطورة العمل الجهادي الذي على كان يقوم به رفقة إخوانه في وحدة الشهداء لتحرير الأقصى.

لقد حاول الروائي من خلال استعماله الوقفات الوصفية والمشاهد الحوارية صناعة لوحات ومقاطع نصية يرسل بها فكر وفكرة المقاومة برغم ما يعانيه في الأسر، وهذا ما يميز أدبي السجون والمقاومة.

فالمقاومة عنده ليست مقاومة أسلحة اعتيادية ورصاصات، ولكن الكلمة كذلك سلاح مهم استعمله الروائي من خلال روايته والتقنيات السردية ساعدته على نقل تلك الرسائل.

¹ - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص229.

ثانيا- تشكلات المكان :

استغل السارد في روايته الكثير من الأماكن التي كانت مسرحا لكثير من الأحداث المهمة والرئيسية، والتي كانت تخدم فكرة روايته ومصدقية نقله لتلك الأحداث الخالدة في تاريخ المقاومة الفلسطينية وبالتحديد كئائب القسام ووحدة الشهداء لتحرير الأسرى، فكانت بعض الأمكنة في الرواية الصرح الذي ساهم بشكل كبير في تشكيل تلك الفكرة والرؤيا التي قامت عليها الرواية مثل المغارة في جبال عصيرة الشمالية و شارع يافا الذي كان مسرحا قدمت عليه اعظم سمفونية فلسطينية أمات أجساد الصهاينة و أبكت سياسيينهم و حكاهم المجرمين، فكانت علميتي سوق محني يهودا وطريق بن يهودا في شارع يافا شاهدين على ذلك.

وسنأتي على الكثير من الأماكن الأخرى والتي تمايزتن فيما بينها في تقاطعات ثنائية تمثلت في (المفتوح والمغلق) و (الآمن والخطر) وستكون هذه الثنائيات مطلقنا لفهم ونفل الدلالات التي تظهرها هذه الأمكنة المحددة، لما يميزها من تأثير على سيرورة الأحداث وأهمية القصة والأفكار والرؤى التي ينقلها لنا الأسير عمار الزبن في روايته " الطريق الى شارع يافا " وسنرى من خلالها عمق الصراع بين المقاومة والاحتلال الصهيوني.

■ المغارة:

يقال أن الشدائد تجعل الإنسان حكيما وأحيانا قادرا على فعل أشياء قد تبدو للبعض مستحيلة، ولكن أحداث روايتنا جعلت من أبطال القصة عباقرة فجمعوا بين الحكمة وفعل ما يظنه الآخرون مستحيلا، فالمعروف عن المغارات أنها تكون عبارة عن حفرة في الجبال بشكل يشبه الكهوف وهذا هو المتعارف عليه عند جميع الناس، ولكن محمود وإخوته غيروا هذا المتعارف عليه واستطاعوا حفر مغارة في أرض مستوية بن أشجار الزيتون في جبال عصيرة الشمالية، الأمر الذي أدهش خليل الذي علق عليها بقوله: " لا اله الا الله، مغارة في أرض مستوية ؟، ما هذه العبقرية؟"¹، فالمطاردة الدائمة لهم من قبل جنود الاحتلال الصهيوني جعلتهم يبدعون حفر هذه المغارة العجيبة في أرض مستوية حيث لا يشك فيها جنود الاحتلال كما أكدها خليل لاحقا بقوله: " فلم يكن التعريف مهما بقدر

¹ - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 10.

أهمية الاختراع التمويهي الذي أبدعه هؤلاء الرجال في حربهم الخفية مع محتل يترصدهم في كل زاوية وواد وجبل¹، فالمغارة لم تكن سوى اختراع مهم في اطار الحرب الأمنية الخفية مع المحتل الذي يترصدهم، وكانت نتيجة عبقرية ولدتها حاجة المجاهدين لمكان بعيد عن أعين جنود الاحتلال وعملائهم، بل بعيد حتى عن تخميناتهم، و هنا تظهر ثنائيات (المفتوح والمغلف) و (الأمن و الخطر) فالمغارة هنا تمقل المكان الآمن لمحمود وإخوته، بل وكانت برغم كونها مكان مغلقا من كل الجهات طبيعيا إلا أنها كانت تمثل مصدر الراحة والعيش بحرية بعيدا عن جنود الاحتلال ويمكننا تشبيهها اليوم بأنفاق المقاومة تحت أرض غزة، ورغم ان خليل كان ضيفا جديدا على المغارة إلا أنه استطاع ان يشعر بنسمة الأمان داخلها حيث يقول الراوي: " لم يعد خليل مطاردا برهبة الموقف الذي عاشه قبل لحظات ، لقد أنسته المغارة وأنفاسها"²، فخليل ومحمود كانا تحت المطاردة من جنود الاحتلال قبل اللجوء إلى المغارة، تلك المغارة التي مثلت للزائر الحديد مكانا آمنا لم يشعر فيه للحظة أنه في حفرة أشبه بالقبر، فقد حملت المغارة تلك المعاني الدافئة والذكريات الجميلة للمحمود ومجموعته لشهور كثيرة فكانت بمثابة البيت الكبير برغم ضيقها وكانت تحمل دلالة عظيمة فهي الأرض التي يدافع عنها هؤلاء الثوار والمجاهدين فكانوا داخل المغارة عروق شجر التين والزيتون المتشبثين في هذه المباركة.

ورغم ذلك الأمن الذي توفره المغارة إلا أنها لم تكن المكان المناسب للتخطيط والتجهيز لعملياتهم الجهادية القادمة كونها تقع في جبال عصيرة الشمالية البلدة الصغيرة التي تقع في المناطق الخاضعة للسيطرة الأمنية الصهيونية برغم التصاقها بمدينة نابلس التي تخضع للسيطرة الأمنية للأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية، لهذا اختار أبطالنا مغادرتها والتزول إلى مدينة نابلس.

■ نابلس:

المدينة الفلسطينية العريقة، تقع في وسط فلسطين المحتلة وشمال الضفة الغربية، والتي يلقبها الفلسطينيون بنابلس جبل النار نسبة إلى جبال عيبال التي تطل على المدينة ولأنها أصبحت بحق نار وجهنما للمستوطنين وجنود الاحتلال الصهيوني، وفي روايتنا كانت نابلس مسرحا لكثير من

¹ - عمار الزين، الطريق الى شارع يافا، ص 17

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها

الأحداث المهمة وملعبا لكثير من العمليات الجهادية التي نفذها المجاهدون قبل تشكيل وحدة الشهداء لتحرير الأسرى.

ولأنهم لا يستطيعون تنفيذ مخططاتهم الجهادية من المغارة فقد نزلوا إلى مدينة نابلس فالمدينة كانت نوعا ما آمنة مقارنة بجمال عصيرة الشمالية التي تعج بجنود الاحتلال، فحسب تقسيم اتفاقية اسلو فقد قسمت الضفة الى ثلاثة مناطق (أ) و(ب) و(ج) وقسمت بدورها مدينة نابلس وفصلت عن قراها وبلداتها حيث وقعة بلدة عصيرة الشمالية في المنطقة (ب) الخاضعة للسيطرة الأمنية الصهيونية ووقعت مدينة نابلس في المنطقة (أ) الخاضعة شكليا للسيطرة الأمنية للسلطة الفلسطينية، فكان الجميع ومنهم محمود يظن أن المدينة ستكون آمنة ولو نسيا بعيدا عن أعين جنود الاحتلال الصهيونية ولكنهم صدموا باعتقالهم من قبل إخوانهم في الهوية من أجهزة أمن السلطة الفلسطينية يقول الراوي واصفا ما حدث: "لم يكن الستة يدركون ما ينتظرهم وهم يقررون التحول من جبال عصيرة الشمالية إلى مدينة نابلس لدى دخول السلطة إليها، للاحتماء من ملاحقة العدو لهم"¹؛ وهناك سجنوا في سجن الجنيد قبل أن يحرر محمود نفسه بقوة موقعه كأحد قادة المقاومة ويحرر الآخرين أنفسهم بعد عدة شهور، فعلى عكس المغارة وضيقها فمدينة نابلس واتساعها لم تكن بذلك الأمن الذي كان في المغارة، بل أصبحوا الآن مطاردين من جهة ثانية هي السلطة الفلسطينية.

فكانت مدينة نابلس خطرا كبيرا على المجاهدين لا يملكون فيها حرية السير في أحيائها وأزقتها بالحرية التي يسير بها المستوطنين، وكانت مغلقة عليهم بكل اتساعها وشساعة شوارعها، رغم ذلك فقد نفذ المجاهدون الكثير من العمليات الجهادية ضد المستوطنين في أطراف المدينة مثل عملية "ألون مورييه" و"عملية الشاين" بالقرب من قبر النبي يوسف.

بالنسبة لأبو أيمن كانت مدينة نابلس ذات تأثير مختلف عن بقية المجاهدين فهي مسقط رأسه وعمله وجهاده وحتى أسرته لاحقا، وفي الرواية فلقد كان يستغل وظيفته في السلطة الفلسطينية ليتحرك بسهولة في المدينة دون خوف من الاعتقال، ولهذا لم تكن تجري عليه نفس وضعية الآخرين فكانت المدينة آمنة بشكل يسمح له بالتجول ورصد قوات السلطة وإيجاد بيوت آمنة من أجل التخطيط لعمليات وحدة الشهداء لتحرير الأسرى يقول أبو أيمن "وكنت أنسى في أوقات كثيرة أنني

¹ - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 26

ضابط شرطة بنفسه ولهذا وجهان أفضلهما: الدور الذي أقوم به لخدمة المجاهدين...¹، لهذا كان أبو أيمن فردا مهما جدا في عمل الوحدة داخل نابلس وحتى خارجها.

■ بيت الشيخ يوسف السركجي:

أو بيت المقاومة كما سماه الروائي، فقد كان بيت الشيخ يوسف السركجي في أحد أحياء مدينة نابلس وتحديدًا في شارع السكة العريق، وكان الشيخ يوسف أحد مؤسسي العمل الدعوي والجهادي لكتائب القسام في الضفة الغربية تحديدًا مدينة نابلس و" مظلة العمل المقاوم بأسره"²، حيث كان " قد عاد لتوه من الابعاد القسري الى مرج الزهور"³، فكان الشيخ صاحب رهبة لدى الأجهزة الأمنية لما لديه من قبول في المجتمع النابلسي فكانوا يتجنبون اعتقاله خوفا من غضب أهل نابلس.

فكان بيته الصغير في شارع السكة مكان آمنًا نسبيًا للمجاهدين حيث ذهب إليه المجاهدون بعد هروبهم من سجن الجنيد التابع للسلطة.

كما كان منزل الشيخ يوسف مكان لكثير من اللقاءات التخطيطية لكثير من العمليات خاصة عملية سوق محي يهودا، وفي بيته أيضًا تأسست رسميًا وحدة " الشهداء لتحرير الاسرى" في اللقاء الذي دار بينه وبين خليل ومعاذ.

■ شقة رفيديا:

يقول السارد: " عثرت على شقة جيدة خلف مستشفى رفيديا غرب المدينة لتصبح مسكن خليل طيلة الفترة اللاحقة"⁴، فكما سبق وقلنا فأبو أيمن كان له امتياز السير بحرية وأمان في مدينة نابلس فكان إيجاد شقة للقائد خليل مهمته حتى تكون إحدى غرف التخطيط لعمليات الوحدة، وكما يصرفوا الأنظار عن بيت الشيخ يوسف السركجي، فكان هذا الخيار استراتيجيًا في ظل الحرب الاستخباراتية مع مخبرات العدو الصهيوني وعملائهم الذين كانوا يسعون خلف أي طرف خيط يقودهم الى أحد المجاهدين أو أي مجموعة مقاومة أخرى في محاولاتهم لتحطيم المقاومة ، لكن المجاهدين كانوا ذوي

¹ - عمار الزين، رواية الطريق الى شارع يافا، ص 92

² - المصدر نفسه، ص 168

³ - المصدر نفسه، ص 66

⁴ - المصدر نفسه، ص 92

فطنة و ذكاء و تمكنوا من ابعاد كل الشبهات عنهم وتجاوزوا كل مخططات المخابرات الصهيونية وحالوا دون الكشف عن أي منهم.

" كان بانتظاري في شقة رفيديا، يجلس على سجادة الصلاة بعد أن أعذر الى الله وأخذ بجميع الأسباب المطلوبة لإنجاح الخطة " ¹، كان هذا الاقتباس من زيارة أبو أيمن الى خليل خلال تخطيطهم لعملية سوق محي يهودا و تحديدًا في آخر لمسات الخطة قبل أقل من خمسة وعشرين ساعة من موعد تنفيذ العملية الموعودة، وكانت شقة رفيديا المكان الذي تتوزع منه المهام والمخططات الدقيقة التي رسمها خليل حيث قسم وحدة "الشهداء لتحرير الأسرى" إلى ثلاثة دوائر عملياتية كل دائرة أسندت لها مهمة محددة ولا تلتقي أي دائرة بالأخرى وكانوا يلتقون في شقة رفيديا بشكل منفصل حيث يقول أبو أيمن: " يعلم أن المصلحة تقتضي عدم كشف دائرة محمود أبو هنود على دائرة معاذ بلال، ينسحب الأمر على دائرتي التي أطلق عليها مجموعة الموظف " ²، فكانت كل دائرة تلتقي خليل في شقة رفيديا بشكل منفردة دون علم الأخرى حتى يضمن أعلى مستوى من الأمن الذي كانت توفره هذه الشقة الصغيرة.

وهنا تتكشف أهمية شقة رفيديا في الرواية، حيث أنها لم تكن المكان الأمن فقط، ولكنها برغم ضيقها كانت الفسحة الكبيرة للقاء المجاهدين دون خوف من أن يدمر بإهما جنود الاحتلال أو أجهزة الأمن التابعة للسلطة، فاختيار أبو أيمن لها كان لتلك الاعتبارات الأمنية، فتكون بذلك شقة رفيديا قد وقعت في خانة المكان الضيق الأمن، وحملت الداليتين بشكل واضح، وحملت كذلك الفكرة الروائي التي لأرادنا الكاتب أن نكتشفها بين سطور روايته وداخل معاني كلماته ومن خلال هذه مكان مثل ثقة رفيديا.

وكانت الشقة المكان الذي اتخذ فيه خليل قرار القيام بالعملية الثانية وطلب حينها من أبو أيمن الذهاب للاستطلاع حيث قال " وبعد انتهاء المكالمات ورجوعنا الى شقة رفيديا قال: توكل على الله غدا وسافر لاستطلاع الأمر في القدس " ³.

¹ - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 188

² - المصدر نفسه، ص 188

³ - المصدر نفسه، ص 252

■ شارع يافا:

يقع شارع يافا غرب مدينة القدس المحتلة، ويعد واحداً من أعرق الشوارع وأشهرها، أكثرها أهمية بالنسبة للاحتلال الصهيوني الذي حاول مرات كثيرة تهويد اسم الشارع بعدما هودت كثيراً من الأماكن داخله حيث أشار الروائي الى ذلك بقوله "شارع يافا.. لو جاءت أمم الأرض لن ترحزح حرفاً من اسمه"¹، كل شيء في هذه المدينة المقدسة دون اليهود يتكلم العربية، وسنكون في معرض حديثنا على موعد للحديث على اثنين من أهم الأماكن داخله، وشهد الشارع خلال تسعينيات القرن الماضي الكثير من الأحداث المؤثرة، حيث نفذت فيه المقاومة الفلسطينية وبالتحديد كتائب القسام عمليتين استشهاديتين عرفتا بتفجيرات الحافلة رقم 18 عند الصهانية وعرفت عند المقاومة عمليات الثأر المقدس التي تلت اغتيال الشهيد القائد في كتائب القسام يحيى عياش، وقتل في تلك الهجمات أكثر من خمس وأربعين صهيونياً وجرح العشرات، ولأن الصهانية لا يتعلمون من الدروس التي تلقنها لهم المقاومة، فقد قررت وحدة الشهداء لتحرير الأسرى القسامية تلقين الصهانية درساً آخر في هذا الشارع وتحديدًا في أكثر الأماكن المؤثرة فيه، وسيكون الأشد، منذ عمليات الثأر المقدس.

كانت زيارة أبو أيمن الأولى لشارع يافا عند ذهابه للاستطلاع قبل حوالي عشرين يوماً من العملية الأولى حيث يقول "ثم سافر بالسيارة باتجاه "باب الحديد" أحد أبواب البلدة القديمة المقابل لشارع يافا"²، ثم ينقل كلام سائقه ودليله خلال هذه المهمة "هذه بداية شارع يافا الأشهر في القدس الغربية"³، يسرد هنا أبو أيمن أولى اللحظات عند دخوله شارع يافا لأول مرة، خلال مهمته الاستطلاعية، وهناك بدأت تتضح له معالم الشارع الأولية "بدأت الأماكن في شارع يافا تلفت انتباهي..."⁴، وكان سائق التاكسي العجوز يشرح له عن كل مكان يمران عليه في الشارع، طريق بن يهودا، مقر بلدية القدس الغربية، فندق الملك جورج، ثم فجأة لفت انتباهه بشكل متعجب سوق كبير في منتصف شارع يافا فسأله دليله: "ما هذا السوق يا عم؟، فأجاب: هذا أكبر أسواق

¹ - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 162

² - المصدر نفسه، ص 162

³ - المصدر نفسه، نفس الصفحة

⁴ - المصدر نفسه، ص 163

القدس قاطبة، سوق محني يهودا"¹، بعد لحظات أضاف الدليل معلومة هي الأهم و هي ما كان يحتاج أبو أيمن معرفته " هذا معقل لمؤيدي حزب الليكود المتطرف"²، فكان وقع هذه الحملة على مسمع أبو أيمن قويا فحزب الليكود الحاكم هو أحد أكثر الأحزاب الصهيونية تطرفا إن لم أكثرها، ويكفي أن نذكر ببعض قادته المجرمين مثل مناحيم بيغن، أريئيل شارون، وزعيم عصاة الشيترن الصهيونية إسحاق شامير، و الأكثر حيوانية بينهم بنيامين نتن ياهو الذي يدعي منذ أكثر من سبعة وعشرين سنة أنه قضى على المقاومة والشعب الفلسطيني، مرت السنوات تلو السنوات والمقاومة صارت أقوى ترسل جنوده أشلاء وشعب فلسطين يتمسك بأرض أكثر فأكثر، وكان الأخير رئيسا لوزراء الكيان الصهيوني في تلك الفترة، حتى نعرف مدى تطرف هذا الحزب، وهذا لا يعني أن غيره من الأحزاب ليسوا متطرفين أو مجرمين أو حتى أقل منهم بقليل، لكنهم كانوا يتنافسون في الإجرام وكان الليكود الأكثر إجراما بينهم في تاريخ هذا الاحتلال الصهيوني لفلسطين، هذا الأمر الذي جعل أبو أيمن يثبت قراره ويؤكد أن أفضل مكان للعملية هو سوق محني يهودا، ثم نقل المعلومة إلى خليل الذي بدوره أمر بالبدأ التجهيز للعملية مع دائرتي محمود ومعاذ.

يوم العملية نقل أبو أيمن اخويه الاستشهاديين معاوية وتوفيق الى القدس ثم شارع يافا بسيارة تاكسي حتى يصرفوا انتباه الجنود والشرطة الصهيانية.

" قرب سوق محني يهودا"³، كان جواب أبو أيمن عندما سأله التاكسي عن مكان توقفهم داخل شارع يافا، وهناك لاحظ الاستشهاديان شارع يافا والصهاينة ينتشرون في كل مكان ثم يكرر أبو أيمن المعلومة التي بقيت تلازمه حتى وصوله مرة أخرى الى سوق محني يهودا عندما قال " وصلنا قبالة سوق محني يهودا، مغفل اليمين المتطرف"⁴، ثم طلب من السائق انال الاستشهاديين أمام مدخل سوق محني يهودا حيث سيعزفان معا لحن الموت ، موت الصهاينة ، وداخله سبق معاوية وتوفيق بالشهادة عنما فجر حقييته أولا ثم تبعه توفيق حاصدين أرواح الصهاينة، انتقاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وثأرا لشهداء فلسطين ونصرة للأسرى، خبر التفجير وصل مسامع أبو أيمن من مذياع راديو

¹ - عمار الزين، الطريق الى شارع يافا، ص 163 - 164

² - المصدر نفسه ، ص 164

³ - المصدر نفسه، ص 218

⁴ - المصدر نفسه ، ص 219

التاكسي بينما هو عائد من القدس إلى رام الله حيث أحدى الشقق الأمانة في حي المصيون، وتؤكد أيضا من نجاح الاستشهاديين معا عندما أعلن المذيع الصهيوني: "الناطق الرسمي باسم شرطة العاصمة" أن تفجرين انتحاريين (استشهاديين) وقعا بعد الظهيرة في سوق محي يهودا، أوقعا ثمانية عشر قتيلا وعشرات الإصابات في صفوف المتسوقين"¹، كانت هذه الملحمة القسامية هي العملية الأولى، لأن شارع يافا لا يزال على موعد مع عملية ثانية بعد شهر وبضعة أيام.

استطاع الروائي تسويق سوق محي يهودا بالطريقة التي يفهمها الدارس للبعد العميق من القضية المركزية الفلسطينية، معقل مؤيدي حزب الليكود المتطرف كانت هذه المعلومة الشي الذي أرادنا جميعا أن نعرفه، فكان تصويره خصوصية السوق بأشخاص متطرفين ليستعيد القارئ ذاكرته مع أفعال الصهاينة اتجاه الفلسطينيين العزل، فكانت الضربة لنسف أي تعاطف مع هؤلاء الصهاينة، والمتابع للشأن الداخلي للاحتلال يعلم تماما أن كل مستوطن صهيوني، وكل مستوطن جندي بدون بذلته العسكرية، حيث أن كل فتى وفتاة في مجتمع الكيان الصهيوني هو جندي احتياط يتم الاتصال بهم عند كل عدوان كما يحدث منذ ثمانية أشهر في عدوانهم المستمر على قطاع غزة .

بعد عشرين يوما من العملية المزدوجة عاد أبو أيمن لشارع يافا مجددا للاستطلاع ثم مرة أخرى، يقول: "رجعت إلى القدس بعد يومين واستطعت الدخول إلى القدس الغربية ورؤية محي يهودا الذي يعسكر على مدخله الجنود لبث الطمأنينة المفقودة في قلوب المحتلين واستطلعت شارع يافا بأكمله"²، وكانت رحلته هذه لرؤية مكان جديد لتنفيذ العملية الثانية، جنود الاحتلال كانوا قد خففوا الطوق الأمني حول شارع يافا ظنا منهم أن نسبة تنفيذ عملية ثانية في نفس المكان ضعيفة وغير منطقية، لكن ظنهم اصطدم برجال كانوا يهزون جبال نابلس هزا.

"بن يهودا ولحن النسف يعزفه الفنان"³، كان طريق بن يهودا المكان الذي استقرت عليه الوحدة لتنفيذ العملية الثانية، ويروي أبو أيمن "هل تعرف أين سترلون في شارع يافا؟، يسألني السائق قبل أن يترك بنا: بالتأكيد، أمام طريق بن يهودا"⁴، طريق بن يهودا مكان معروف لسير مئات الصهاينة

¹ - عمار الزين، رواية الطريق الى شارع يافا، ص 224

² - المصدر نفسه، ص 284

³ - المصدر نفسه، ص 312

⁴ - المصدر نفسه، ص 315

عليه يوميا حيث كان هدفا ممتازا لإسقاط أكبر عدد من الصهاينة، وهذا ما فعله الاستشهاديون عندما لحنوا مرة أخرى موسيقى الموت على الصهاينة.

في شارع يافا تظهت لنا من جديد ثنائيات (الآمن والخطر) و (المفتوح والمغلق) فالمكان الذي من المفترض أن ينعم فيه الصهاينة بالأمن والأمان تحت حراسة العشرات وربما المئات من جنود وشرطة الكيان الصهيوني المدججين بكل أنواع الأسلحة والمدرعات و على العسكن منهم كان شارع يافا المكان الأخطر على كل فلسطيني قد يدخله فحتى وإن لم يقتله الجنود فإن أكثر المستوطنين تطرفا يمرون به كل اليوم وكل واحد منهم يحمل حقدا على كل عربي و مسلم، "وحدة الشهداء لتحرير الأسرى" غيرت تماما هذه الحقيقة وجعلت من شارع يافا مقبرة للمستوطنين الصهاينة الذي ينتمون إلى كل مكان إلا فلسطين، فجعلوا منه مسرحا على الهواء الطلق لعزف سيمفونياتهم، ويظهر كذلك مدى ضعف الأنظمة الأمنية الصهيونية فالرواية التي جزء كبيرا منها يسرد العقول بين المقاومة و الاحتلال أثبتت مجددا مدى ضعف وهوان هذا المحتل فكما سبق و أشرنا ففي سنة 1996 نفذت كتائب القسام عمليتين من عمليات الثأر المقدس هناك وكانتا بصفة متتالية، وبعد عام من تلك العمليات الاستشهادية تحيي وحدة الشهداء لتحرير الأسرى هذه العمليات وتدق نفس المكان بعمليتين متتاليتين لا يفصل بينهما سوى شهر و أربعة أيام بالتحديد، فكان شارع يافا دليلا على هشاشة الكيان وقادته الذين لا يجيدون شيء سوى الإجرام بحق الأطفال والنساء، في الثنائية الثانية يظهر أيضا أن الشارع بكل اتساعه كان ضيقا كالقبر على الصهاينة المتكدسة جثثهم والمهاجرين من جحيم الاستشهاديين.

تركيب:

لم يستعمل الروائي هذه الأماكن لشيء إلا أنها كانت المواقع والساحات الحقيقية لأحداث وفصول روايته، من المغارة في جبال عصيرة الشمالية إلى نابلس وبيت الشيخ يوسف السركجي وشقة رفيديا و أخيرا مع شارع يافا في القدس حيث مكان العمليتين سوق محني يهودا وطريق بن يهودا، وأمكنة أخرى استغلها الروائي لم تأتي على ذكرها مثل بيتي معاذ ومهند والشقتين في حي المخفية وحي المصيون في رام الله، واخترنا الأماكن التي برزت في الرواية والتي تساعد على إيصال الأفكار والرؤى التي يريد الروائي تمريرها لنا عبر روايته، فلكل مكان في هذه الرواية قصة سردها لنا

الأسير عمار الزبن ليثبت للقارئ أن (المغلق و المفتوح) و(الامن والخطر) ليست ثنائية محققة التأكيد لكل مكان، بالمغارة التي كانت أشبه بالقبر كانت مثل الملعب الذي يقضي فيه محمود والاستشهاديون أجمل أوقاتهم معا دون خوف من الاعتقال, ومكان مثل شارع يافا بالقدس المحتلة كان مثل جحر الضب للصهاينة الذين تفتت أجسادهم عليه، فالأمن كلمة لن يعرف معناها الصهاينة أبدا في كل مكان من أرض فلسطين ما داموا هناك، وهذا ما أراد الروائي أن يبينه لنا من خلال سرده قصة العلميتين في نفس الشارع أن هذا المحتل الصهيوني مهما بدا للمنبطحين قويا فهو لم يستطع الصمود أمام مجموعة صغيرة من الشباب الذين لم يتجاوزوا بعد خمسا وعشرين سنة, وخسر معركتين استخباراتية أخرى قتالية في الميدان ولم يسقط فيها غير الصهاينة ولم تسلم فيها غير دمائهم، أما الاستشهاديون فكانت فقد سقوا بدمائهم أرضهم وارتقت فيها أرواحهم للعلواء فالشهداء لا يموتون.

الفصل الثالث

المقاومة والرد بالكتابة

أولاً: تشكلات اللغة وفعل المقاومة

ثانياً: مضامين النص السردي وفعل المقاومة

يسعى روائيو أدبي المقاومة والسجون إلى محاولة توجيه بعض الرسائل الفكرية و العلمية التي يظنون أنها قد تساعد القارئ خاصة والشباب بصفة عامة في تحفيز حس المقاومة بل والابداع في مقاومة الاحتلال لديهم، فنجد الأسير عمار الزين يحاول من خلال روايته "الطريق الى شارع يافا" تبيان أهمية خيار المقاومة، وتوجيه الشباب من خلال استحضار بطولات المجاهدين في زمن كانت فيه المقاومة تعاني من تبعات سياسية ووطنية وإقليمية وحتى عالمية خاصة تجاه تنظيمات المقاومة ذات التوجه الإسلامي، فأراد الروائي أن يبعث بارقة أمل لكل من قد ستيأس من جدوى المقاومة، فيشعل الروائي بتفاصيل مميزة شرارة الجهاد الدفينة عند كل شاب ينتظر تلك الدفعة المعنوية للسير على خطى المجاهدين في الرواية، التفاصيل التي سنأتي على توصيفها والخوض في ما وراء الكلمات والشخصيات والاحداث التي سردها الروائي.

أولاً: تشكلات اللغة وفعل المقاومة:

أصبحت الرواية في هذا العصر وسيلة هامة من وسائل التوجيه المعرفي والفكري، فالروائيون يمررون من خلال أعمالهم رؤيتهم للمقاومة، وكل حسب توجهه الأيديولوجي والفكري، والرواية التي ين أيدينا لم تختلف عن ذلك فلقد استطاع الروائي من خلالها خوض معركة خاصة جدا تستعمل فيها الكلمات بدل الرصاص، حيث يكون الأدب وسيلته التي يبرز بها أهمية وجدوى المقاومة.

1/ معركة المصطلحات:

معركة المصطلحات والمفاهيم هي جزء من الحرب الثقافية والإعلامية التي يخوضها الروائي ضد الكيان الصهيوني في روايته، فالذي يقوم به الصهاينة اليوم هو محاولة لجر العقل العربي الى التطبيع المفاهيمي والمعرفي، فنجد الروائي يكرر مجموعة من المصطلحات مثل **العمليات الاستشهادية** التي تواجه هجمة تشويه كبير من الإعلام الصهيوني المدعوم من الغرب، فيكرر الروائي هذا المصطلح في عدة مواضع منها:

- "صانع العمليات الاستشهادية ضد الاحتلال في فلسطين"¹

- "عملية استشهادية؟، خرجت من فم خليل كالموسيقى"²

¹ - عمار الزين، الطريق الى شارع يافا، ص 15

² - المصدر نفسه، ص 79

- " ذروة الفدائية والتضحية والبسالة، العلمية الاستشهادية"¹
- لأن الأذن الفلسطينية قد اعتادت في تلك السنوات على اسم كتائب القسام بعد العملية الاستشهادية"²
- وفي نفس السياق جاء الروائي على تكرار مصطلح تابع هو "الاستشهادي" في كل مرة يصف فيها منفذي العمليات الاستشهادية فنجدها في عدة مواضع منها قوله:
- "هل لدينا ثلاثة استشهاديين كالأسدين اللذين نفذوا محني يهودا؟"³
- "كان السهر مع الاستشهاديين عظيما"⁴
- استعمال الروائي لهذه المصطلحات تحديدا في سياق تأكيده على كون العمل المقوم يحمل صبغة إسلامية تؤكد رؤيته لما يجب أن يكون عليه فكر المقاومة الذي لا يجب أن يخرج من دائرة الإسلام، لأن العدو الصهيوني يتخذ من اليهودية غطاء لأفعاله الإجرامية لذلك يقول "سيد قطب" عنهم: "كانت أطماعهم ترف من بعيد إلى بيت المقدس أما اليوم فهم منه على بعد خطوات .. ولا يكف أطماعهم إلا أن يغلبهم الإسلام"⁵، ولهذا عمل الروائي على اختيار مصطلحاته بعناية خاصة منها التي الحساسة تجاه الإسلام
- وفي الرواية استدلل الأسير المبدع "عمار الزبن" بكلام أحد أعلام الإسلام الذي كانت المقاومة تعتمد كثيرا من فتاويه في الجهاد ضد الاحتلال الصهيوني، وأشار فيها بوضوح إلى إجازة العمليات الاستشهادية فقال: "كفتوى الشيخ العلامة يوسف القرضاوي الذي أجازها كأرقى أنواع التضحية"⁶، فأن يُلَفَّ المجاهد الاستشهادي جسده بالمتفجرات ويتغلغل بين الصهاينة ويضحي بنفسه وجسده ليس شيئا يمكن تحقيقه في النفس بسهولة والذي يقوم بها يكون على قدر عال من الإيمان، وأشار الروائي الى ذلك عندما ذكر إتمام الاستشهاديين يوسف وبشار حفظ القرآن الكريم كاملا⁷.
- ويعود السبب الأبرز الذي دعا الروائي إلى التأكيد مرارا على هذا المصطلح هو المعركة الإعلامية التي يوجهها الإعلام الغربي المدعوم صهيونيا لترويج الدعاية الإعلامية الصهيونية وحرب المصطلحات، حيث أن الإعلام الصهيوني يصفها بالعمليات الانتحارية وعلى هذا النحو ينقلها عنه الإعلام الغربي في

¹ - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 174

² - المصدر نفسه، ص 226

³ - المصدر نفسه، ص 249

⁴ - المصدر نفسه، ص 208

⁵ - سيد قطب، معركتنا مع اليهود، دار الشروق، القاهرة-مصر ط12، 1993، ص 36

⁶ - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 177

⁷ - ينظر: المصدر نفسه، ص 18

محاولة منهم لخلق جدار وهمي بين الشعوب وحقيقة ما يحدث في فلسطين وللتغطية على جرائمهم التي يبررونها بمحاربة الإرهاب.

يقول الأسير الفلسطيني والقائد في المقاومة "عبد الله البرغوثي" في كتابه "بوصلة المقاومة": "وأن تسمية هذه العمليات الاستشهادية بالعمليات الانتحارية تسمية خاطئة ومضللة فهي عمليات فدايية بطولية استشهادية، وهي أبعد ما تكون عن الانتحار، ومن يقوم بها أبعد ما يكون عن نفسية المنتحر، إن المنتحر يقتل نفسه وهذا الاستشهادي يقدم نفسه ضحية من أجل دينه وأمتة، والمنتحر إنسان بائس من نفسه ومن روح الله، وهذا المجاهد إنسان كله أمل في روح الله تعالى"¹، وهذا الكلام من أسير كان المخطط لكثير من العمليات الاستشهادية التي نفق بسببها عشرات الصهاينة فكان أعلم بحكمها وما يجب أن يكون عليه الاستشهادي.

وكلامه يوافق نصا ما أورده الروائي في قوله على لسان يوسف: "أننا لا نطلب الموت لذاته وإلا أصبحنا انتحاريين هدفنا وضع حد لحياتنا وهذا حرام وفق المنطق الديني والديني، ولكن. -وهنا فلسفة الأمر- نطلب الموت حتى توهب الحياة لشعبنا..."²، ففي الإعلام الغربي يوصف منفذي العمليات الاستشهادية بصفة الانتحاريين لتشويههم لدى شعوب العالم المغيب عن الحقيقة، بل إن كثيرا من المسلمين راحوا ضحية للإعلام الغربي الذي يحاول تظليل شعوب العالم عن الحقيقة، والرواية موجهة أيضا إلى هؤلاء المسلمين الذين غسل الإعلام الغربي أدمغتهم، فحرب التشويه التي مست الاستشهاديين وكان العدو الصهيوني قائما عليها جعلت الكثير يسيء إلى الشهداء والاستشهاديين حيث يقول الروائي على لسان بشار: "لكن العدو الصهيوني يشن حربا تشويهية ضد الاستشهاديين مستخدما حور العين في حربهم تلك، وكأن الشباب الفدائي هدفه حور العين"³، وهذا ما يؤكد مرة أخرى شدة الحرب التي يواجهها المجاهدين عامة والاستشهاديين خاصة.

من جهة أخرى يبين اعتبارات المقاومة الدينية فهم لا يقومون بشي دون الرجوع إلى الشريعة الإسلامية، التي ترى فيمن يضحي بنفسه لأجل دينه وأمنته شهيدا عندما يسقط جسده ترتقي روحه إلى مصاف الأنبياء والرسل والصالحين من أمة الإسلام، ففي كتابه الأول "مهندس على الطريق: أمير الظل" يروي الأسير "عبد الله البرغوثي" حادثة تؤكد مدى اهتمام قادة المقاومة بتفاصيل العمليات الاستشهادية مهما كانت صغيرة عندما جاءه شاب يريد تنفيذ عملية استشهادية لكن المهندس اكتشف أن هذا الشاب كان يريد تنفيذ هذه العملية لكي يتخلص من وصمة عار والده الذي كان عميلا للصهاينة قبل توبته وموته و بقي عار عمالته يلاحقه عائلته حيث يقول الشاب "أريد أن أنفذ

¹ - عبد الله البرغوثي، بوصلة المقاومة، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2015، ص 48

² - المصدر نفسه، ص 174-175

³ - المصدر نفسه، ص 176

عملية استشهادية حتى يقال أن عائلي هي عائلة الشهيد"¹، فكان هذا سببا في منعه من تنفيذ العملية الاستشهادية لأن نيته لم تكن خالصة لله ولكن فقط كي يتخلص من ذلك العار، لكن الروائي لخص الأسباب التي من أجلها يدفع الاستشهادي نفسه وجسده بقوله: "أنا أتناول الطعام مع فدائيين مجاهدين استشهاديين سيتمزق جسداهما غدا فداءً لدينهما ووطنهما الغالي"².

ومن المصطلحات التي استخدمها الروائي كثيرا، وكانت تشير وضوح إلى التوجهات الفكرية والأيدولوجية التي يؤمن بها وكانت جزء من معركة المصطلحات كان استعماله لمصطلحي **الجهاد** و**المجاهدين** والتي جاء الروائي على تكرارها في مواضع كثيرة من الرواية ونذكر منها:

- "أن محمود أبو هنود من المجاهدين الأوائل"³

- "لأنها سنة الثوار والمجاهدين"⁴

- "لأن الذي يدخل بيت الجهاد والمقاومة، لا يمكن أن يخذل إخوانه"⁵

- "فأصبح عامرا بالجهاد والثورة والجنة"⁶

ويبرز هذا الكم من المفردات ذات الصبغة الإسلامية قدرة الروائي على توظيف توجهه وفق منطلقاته الدينية والعقائدية والأبعاد ذات الأهداف الأيدولوجية الإسلامية، وهذا يبرز أيضا تشبث الروائي وتشبعه بمبادئه الإسلامية برغم ما يعانيه في الأسر بسبب مقاومته الاحتلال الصهيوني.

فمثل هذه المصطلحات تختلف في ميادين المقاومة بالرغم من أنها تشير عادة إلى الشيء نفسه المراد وصفه فنجد مصطلحات مثل المقاومين، الفدائيين، الرفاق، الثوار، وغيرها من المصطلحات التي تصف من يقاتل الاحتلال غير أن مصطلحي المجاهد والجهاد تعبر عن المقاوم ذو التوجه الإسلامي وهذا ما كان عليه الروائي حيث أنه ينتمي إلى كتائب الشهيد عز الدين القسام، وهذا بالمناسبة لا يعني بالضرورة أن الروائي ضد غيرها من المصطلحات فكلها في مواجهة الإعلام الغربي الذي يصف من يحارب الاحتلال الصهيوني بالإرهابي يصف حركات المقاومة الفلسطينية بالإرهابية ويصف المقاومة بالإرهاب، وما الرواية سوى أداة من أدوات هذه المواجهة والتوجيه الذي يهدف إلى تصوير الحقيقة

¹ - عبد الله البرغوثي، مهندس على الطريق: أمير الظل، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2015، ص 132

² - عمار الزين، الطريق إلى شارع يافا، ص 196

³ - المصدر نفسه، ص 39

⁴ - المصدر نفسه، ص 58

⁵ - المصدر نفسه، ص 92

⁶ - المصدر نفسه، ص 287

التي يجب أن تكون، واليوم أصبحت منصات مثل وسائل التواصل الاجتماعي أداة قوية أخرى لمواجهة الترسانة الإعلامية الصهيونية، الرواية بطبيعتها موجهة الى القارئ العربي الذي يجب أن يعلم إلى أين يجب أن تتوجه بوصلته، فالعمل المقاوم في الأرض المقدسة يجب أن يتغلف بالقيم و المبادئ الإسلامية، وفي هذا يقول "ابراهيم المقادمة" وقد كان أحد قادة المقاومة في فلسطين (استشهد صباح 2003/03/08 باستهداف سيارته) في كتابه "معالم في الطريق لتحرير فلسطين": "إن الجهاد هو الإجابة الصحيحة على محاولات الاذلال التي يتعرض لها الشعب المسلم في فلسطين وباقي أقطار الإسلام، الجهاد بمعناه الكامل والحقيقي الذي ينتهي بالنصر أو الشهادة"¹، فالفكرة الأساسية التي تقوم عليها المقاومة في فكر الروائي هي الجهاد في سبيل الله أولاً ثم الأمة والوطن حيث أكد ذلك في كثير من الموضع منها: "انسان يقرر أن يموت فداء لدينه ووطنه"²، فأسبغية الدين على الوطن جزء من عقيدة وفكر المقاومة التي كان يؤمن بها الروائي وكل المجاهدين معه في كتائب الشهيد عز الدين القسام، فهو يرى في الإسلام الحل لتحرير فلسطين بل والأمة.

فكانت معركة المصطلحات قائمة في الرواية بشكل واضح لتوجه القارئ وتدفعه لزرع تلك المصطلحات عند غيره لمواجهة الترسانة الإعلامية الغربية التي تسعى بدون توقف لتشويه المقاومة والجهاد في فلسطين كما فعلت من قبل في أماكن أخرى من أمتنا الإسلامية.

2/ إسلامية الصراع في فلسطين:

ومن ضمن التشكيلات اللغوية التي أطررت في النص تدليلاً على البعد الإسلامي وفعل المقامة هي إشارة الروائي إلى طبيعة الصراع الدائر اليوم في فلسطين ضد اليهود الصهاينة، فكانت النقطة التي لم يغفل الأسير عنها، فاليوم أصبح الصراع مع الصهاينة يتقلص مدى تأثيره يوماً بعد يوم وهذه دون شك خطة صهيونية يعملون عليها منذ أن احتلوا فلسطين، وفي سبيل ذلك ذكر الروائي حادثة كانت أحد أهم الأسباب التي دفعتهم إلى المضي في تنفيذ عملية محي يهودا وهي حادثة الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدينة الخليل جنوب الضفة الغربية حيث يصف الروائي الحادثة " كان الاستفزاز لمشاعر المسلمين من جانب المحتلين في الخليل مقيتاً وبشعاً، انتقل كالنار في الهشيم الى كل مكان...، فعبير الجميع على غضبه كل بطريقته، الطفل بمقلاع سيدنا داوود-عليه السلام-، والعجوز باللعنات المحقة، والشباب بمولوتوفه، والرجال والنساء بالمظاهرات، أما رجال القسام فحكاية أخرى

¹ - ابراهيم المقادمة، نعلم في الطريق لتحرير فلسطين، مكتبة فلسطين المصورة، ط2، 2002، ص169

² - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 90

مختلفة تماماً"¹، والرسول صلى الله عليه وسلم يمثل الصبغة الإسلامية العالمية فالاستفزاز لم يكن تجاه الفلسطينيين فقط بل وجهه اليهود الصهاينة إلى كل مسلم، فاليهود حاربهم الكبري ليست ضد الفلسطينيين فقط بل ضد كل مسلم في كل مكان في العالم، ولهذا جاء انتقام كتائب القسام لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالعملية في محي يهودا حيث جاء على لسان المذيع الصهيوني باللغة العربية يلعن بيان مسؤولية كتائب القسام "مُهديا العملية إلى النبي محمد الذي نال منه المستوطنون في مدينة الخليل عبر نشر الصور المسيئة"².

الذي يحدث اليوم ليس صراعا بين الفلسطينيين ومن يطلق عليهم الإسرائيليين وليس بين العرب واليهود الصهاينة، فهذا نجد ذاته استغلال صهيوني لتقليل حجم التأثير لقضية فلسطين من جهة المسلمين غير العرب، رغم أن الصهاينة يصرون على أن الصراع هناك هو قضية كل يهودي في العالم بغض النظر عن جنسيته وهذا ما نجده اليوم في جنود جيشهم حيث كمثل حيث يأتهم اليهود وغيرهم من الصهاينة (حيث هناك صهاينة غير يهود) من كل بقاع الأرض منهم الاوربيون والروس والامريكيون وحتى يهود الفلاشا الاثيوبيين، بينما يتم حصر قضية فلسطين في العرب وأحيانا تأتي بعض أبواقهم العربية ليعلنوها قضية تخص الفلسطينيين فقط ولا شأن للعرب بها، فيجد ضعاف النفوس أنفسهم تحت الاحتلال الفكري الصهيوني.

ولهذا نجد الروائي يأتي على ذكر تصرفات المجاهدين الإسلامية حتى يذكر أو ينبه الغافلين الى إسلامية الصراع القائم في الأرض المحتلة، ويحذر المفكر المصري "محمد عمارة" في كتابه "إسلامية الصلّاح حول القدس وفلسطين" وينبه بقوله: "فإسلامية هذا الصراع هي واقع يضيف الإمكانات الإسلامية للإمكانات الوطنية الفلسطينية والطاقت القومية العربية فهو يرفدها، لأن البعد الإسلامي والدائرة الإسلامية هي واحدة من دوائر الانتماء لإنساننا، تضم وتحتضن وتدعم وتلي الدائرة الوطنية والدائرة القومية..."³، فبالنسبة إلى المشروع الصهيوني كلما تقلصت مساحة التأثير والشعور بأهمية الصراع حول القدس وفلسطين كلما كان احتلال فلسطين ونسيانها أسهل وبالنسبة إلى "محمد عمارة" فان تغليف الصراع بالأمة الإسلامية يزيدنا قوة وقدرة أكبر على النصر، وبالنسبة إلى الصهاينة فان تقليل تأثير قضية فلسطين سيجعلهم يفكرون بجديّة أكبر في حلمهم الأكبر بما يطلقون عليه

¹ - عمار الزين، الطريق الى شارع يافا، ص 170

² - المصدر نفسه، ص 232

³ - محمد عمارة، إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين، دار نهضة مصر، مدينة السادس من أكتوبر-مصر، ط1، 1998، ص 23

إسرائيل الكبرى والتي تمتد حدودها حسبهم "من المنطقة التي يحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، وفي الجنوب اغربي وادي العريس وصحراء سيناء، وفي الجنوب خليج العقبة، وفي الشرق وادي عربة ثم اعتبار من نهر الأردن الصحراء العربية (شرق الأردن) وامتدادها شمالا وفي الشمال الشرقي والشمال نهر الفرات حتى صيدا على البحر الأبيض"¹، وهذا يعني احتلالهم ستة دول عربية أخرى هي لبنان، سوريا، السعودية، الأردن، العراق ومصر ولن يحدث هذا إلا بتفتيت الأمة الإسلامية أولا ثم العربية ثانيا وهذا ما يراه المفكر محمد عمارة حيث تعمل الحركة الصهيونية على تشتيت العالم الإسلامي حيث يقول: "فالدولة التوراتية ترى الإسلام والقومية العربية العدو الأول للشعب اليهودي .. وترى أمنها مشروطا ومرهونا بتفتيت دار الإسلام وعالم القرآن"²، وتكون كلها أضعف من الكيان الصهيوني فتكون لقمة سهلة للصهاينة الذين هم أصلا مدعومون من قوى الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا.

وفي تأكيد آخر من الروائي على أهمية أن يكون الصراع شاملا لكل يمس كل قطر من الأمة الإسلامية يقول: "فأن تكون رافضا، معارضا، وإسلاميا على وجه الخصوص ستصبح زائرا دائما لسجون العدو"³، فالاحتلال يسعى لكا قوته لطمس كل فكرة مقاومة يكو الإسلام مصدر قوته، يسجن أو يغتال كل شخصية تحاول نشر هذه الفكرة أو حتى مجرد حملها فهو يرى في الذي يحمل فكر المقاومة الإسلامية شخصا يهدد مشروعهم الهادف لصرف المسلمين عن بيت المقدس وفلسطين ولهذا اغتال الصهاينة الكثير من المفكرين والمقاومين الفلسطينيين الذين لديهم رصيد فكري إسلامي مثل الشيخ "أحمد ياسين" و"فتحي الشقاقي" و"صلاح شحادة" وكذلك أحد أبطال الرواية الشيخ "يوسف السركجي" والذي طارده الاحتلال لسنوات بعد عمليتي شارع يافا حتى تمكنوا من اغتياله برفقة المهندسين المرافقين الدائمين له نسيم أبو الروس وجاسر سمارو في 22 كانون الثاني 2002، وحينها لم يكن قد تجاوز بعد 40 سنة من عمره لكنه رغم صغره كان "مظلة العمل المقاوم بأسره"⁴ كما وصف الروائي و قد كان تلميذا للشيخ أحمد ياسين.

إن الصراع في فلسطين بالضرورة صراع يجب أن يحمل همه كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها واستغلال معركة طوفان الأقصى التي جعلت العالم كله يستيقظ من غيبوبته التي ارقده فيها الإعلام

¹ - عادل محمود رياض، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 1989، ص 24

² - محمد عمارة، إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين، ص 19

³ - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 124

⁴ - المصدر نفسه، ص 168

الغربي، والروائي ورغم كونه اليوم حبس الأسر إلا أنه بكلمات بسيطة استطاع تمرير رسائله الفكرية من خلال رواية " الطريق الى شارع يافا"، ومعركة طوفان الأقصى حطمت هذا المشروع الصهيوني بشكل كبير فالיום ليس فقط المسلمين من عادوا إلى قضيتهم بل حتى شعوب العالم غير المسلمة أصبحت تهتم بالقضية الفلسطينية بشكل كبير جدا.

3/ تهويد المكان:

إن التهويد هو الخطر الأكبر الذي يواجه فلسطين عامة والقدس خاصة حيث يعمل الصهاينة على تغيير كل ما تصل إليه أيديهم في كل أحياء فلسطين من خلال إضفاء صبغة يهودية على المدن والشوارع والأماكن التاريخية في فلسطين، كانت القدس أكبر المدن التي عانت من التهويد خاص في جزئها الغربي المتحل منذ سنة 1948 حيث استطاع الصهاينة تهويد الجزء الغربي من القدس ديموغرافيا من خلال طرد السكان العرب والمسلمين وجلب عشرات الآلاف من اليهود للاستيطان، وحتى اسميا في كثير من خلال تغيير أسماء الشوارع وبعض الأماكن، يقول "حسني العطار" في كتابه "مدينة القدس: بين التهديد والتهويد": "لقد قام اليهود الصهاينة، حكومة، ومؤسسات، وأفراد، وأحزابا، وتنظيمات، بالعمل المتواصل على تهويد مدينة القدس، حيث أقاموا داخل المدينة العشرات من المقرات والبؤر الاستيطانية، وكذلك خارج المدينة حيث أحاطوا المدينة بعشرات المستوطنات، المترابطة، حيث جعلوها كالسور الدائري حول المدينة، ل يتم عزلها عن المدن والقرى المجاورة"¹، ولم يغفل الروائي عن الإشارة الى هذه المستوطنات حيث يذكر أحد التي أقيمت على أرض القدس عند ذهابه مع الاستشهاديين لتنفيذ العملية الأولى في سوق محني يهودا فيقول: "متجاوزا أكبر مستوطنة صهيونية مغطىة لأراضي مدينة القدس وتسمى معالي أدوميم"²، ولم يغفل أيضا الأسير "عمار الزبن" عن خطر تهويد القدس خاصة الأماكن القريبة من المسجد الأقصى حيث كانت أحد أهم الأفكار التي أراد تحذير القارئ منها عندما أشار الى ذلك بشكل صريح في قوله: "لقد حاولوا تغيير اسم شارع غزة فلم يستطيعوا فعدلوا عن التفكير بشارع يافا، كل شيء هنا ما دون اليهود، بيتكلم عربي"³، فالروائي هنا كان يصف أحد أوجه الاحتلال العميقة التي لا يدرك الكثير خطورتها، وهي تهويد المدن والقرى والشوارع والأماكن ديموغرافيا حيث أن كل ساكني شارع يافا وزائريه كانوا يهودا، حيث

– حسني العطار، مدينة القدس: بين التهديد والتهويد، مؤسسة نافذ للبحث والطباعة والنشر، رفح-فلسطين، ط 1، 2021، ص

65¹

² – عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 217

³ – المصدر نفسه، ص 162

قال عند دخوله الجزء الغربي من القدس: "وبذلك أصبحنا خلال ثوان معدودة في المنطقة اليهودية الصرفة، الخالية من أهلها العرب الأصليين"¹، فالقدس كان يتم إفراغ جزئها الغربي من كل أثر للسكان العرب و المسلمين خاصة يقول الباحث الفلسطيني "نواف الزرو" في كتابه "القدس: بين مخططات التهويد ومسيرة النضال والتصدي الفلسطيني": "كما تتعرض منذ ذلك الوقت (منذ احتلالها بشكل كامل بعد نكسة 1967) إلى هجمات متلاحقة من ممارسات التفريغ والتهويد وذلك في إطار المخطط الإسرائيلي الواسع المشار إليه آنفا والرامي الى تحقيق الاحلام الصهيونية في تفريغ كامل القدس من أصحابها العرب وتهويدها بالكامل كذلك لتعدوا "عاصمة إسرائيل الموحدة والأبدية"، كما يتوهمون"²، وكلام الباحث هو حالة متقدمة من التهويد الذي يبدأ بتهويد القدس إسميا في طريقهم لكي يتم تفريغها من أهلها بطردهم وسرقة ممتلكاتهم وأراضيهم واستبدالهم بيهود يأتون من كل أنحاء العالم، وبما أن العلميات الاستشهادية كانت في شارع يافا فقد جاءت لتكون جزءا من عملية تخويف المستوطنين للابتعاد عن العيش في القدس التي تتعرض لحركة استيطانية كبيرة جدا منذ احتلالها بشكل كامل بعد حرب حزيران سنة 1967.

والروائي وبلغة قوية يقول: "شارع يافا، لو جاءت أمم الأرض لن تغير حرفا من اسمه"³، وهذا الكلام دليل على مدى خطورة التهويد، ومدى أهمية التحذير منه للعرب والمسلمين حتى يعرفوا الخطر المحدث بالقدس المحتلة خاصة وفلسطين المحتلة كلها عامة، وهو يشير أيضا إلى نوع ثان من التهويد وهو محاولة الصهاينة تهويد الأماكن اسما من خلال إعطائها أسماء يهودية.

ف نجد مثلا مدينة أم الرشراش في أقصى جنوب فلسطين المحتلة تسمى بإيلات فأصبحت حتى وسائل الإعلام العربية تستعمل هذا الاسم بدل اسمها الأصلي قبل الاحتلال، لكن الخطر الأكبر يحوم حول القدس والمسجد الأقصى، وشارع يافا ملاصق للبلدة القديمة التي تحوي داخلها المسجد الأقصى المبارك والذي يطلق عليه اليهود جبل الهيكل ويطلقون على القدس اورشليم وعلى هذا النحو تتبعهم وسائل الاعلام الغربية التي بدورها توصل هذه الأسماء اليهودية إلى شعوب العالم فيظنون أن لليهود حقا الحق في هذه الأرض.

¹ - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 162

² - نواف الزرو، القدس بين مخططات التهويد الصهيونية ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية، دار الخواجا، عمان-الأردن، ط1، 1991، ص 45-46

³ - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 162

وكان واجبا على الروائي التنويه الى هذا الخطر كون العملتين الاستشهاديتين كانتا داخل مدينة القدس المحتلة التي تمثل قلب فلسطين والأمة الإسلامية وهي عند المسلمين ثالث أقدس المدن وبها ثالث أقدس مسجد هو المسجد الأقصى المبارك.

إن تشكلات اللغوية السابقة تسلفت بين سطور الرواية فكانت تمثل العمق الأيديولوجي الذي يتبناه الروائي خاصة وكل المجاهدين عامة، واستطاع الأسير "عمار الزين" تمريرها للقارئ من خلال "الطريق الى شارع يافا"، فما جاء في هذه القطعة السردية المميزة من حوارات ومعلومات من شأنها أن تزيد من معرفة القارئ لكثير من الأفكار التي قد يتبناها أو ينتبه لها بخصوص القضية المركزية الفلسطينية، لهذا كان واجبا علينا الإشارة لها وشرحها بما يكفل فهم القارئ الجيد لهذه الأفكار من خلال هذا المبحث، وعدم المرور عليها دون التطرق لها فهي مهمة جدا في الصراع الدائر في الأرض المباركة بين قوى الصهيونية العالمية وقوى المقاومة الإسلامية المدافعة عن المسجد الأقصى وما حوله في فلسطين المحتلة.

ثانيا: مضامين النص السردى وفعل المقاومة:

طبيعة رواية "الطريق الى شارع يافا" جاءت بوقع مختلف عن مثيلاتها من روايات أدبي المقاومة والسجون، فقدمت المقاومة بشكلها الواقعي الحقيقي الذي لا يحتمل التزييف والتخيالات غير المنطقية، فكانت الرواية الوسيلة التي نقل بها الروائي أحد أقوى عمليات المقاومة في وقت كانت فلسطين في لحظات محورية من تاريخها المقاوم فجاءت العملية بعد بضع سنوات قليلة من الانتفاضة الأولى وبعد أقل من ذلك من اتفاقية أوسلو، وبعد أقل منها من استشهاد المهندس يحيى عياش فكانت قوات الاحتلال الصهيوني تظن أن زمن المقاومة قد أفل وانتهى وأن سيطرتهم على فلسطين قد باتت أمرا أسهل بكثير، فكانت الرواية تؤرخ لفترة زمنية ولعملية غيرت تماما واقع فلسطين استمرت تبعاتها لسنوات لاحقة.

1/ قوة الكلمة في رواية الأسير:

وعلى عكس معظم الروايات أدب المقاومة التي عادة ما تكون محالات للتذمر من واقع الاحتلال أو وصف معاناة وحالة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال والظلم، وكانت روايات أدب السجون يسترسل فيها الأسرى واصفين قساوة السجن وشدته والتعذيب والقهر داخل زنازين بني صهيون، فان رواية "الطريق الى شارع يافا" استعمل فيها الروائي الأسير قلمه المبدع لتصوير ملاحم البطولة

والمقاومة، مفتخرا فيها بغزة وقدرة المجاهدين دون التباكي على الماضي أو الحاضر، فكانت الرواية أشبه بدفعة معنوية للقارئ الذي يظن أو قد يظن الآن أن المقاومة قد تفشل أو تنهزم أمام عدة وعتاد وأعداد الصهاينة وجرائمهم.

يقول الروائي على لسان رئيس الوزراء الصهيوني ذلك الوقت: "أكرر ما قلته سابقا لقد قضينا على إرهاب الفلسطينيين الذي تقوده منظمة حماس الإرهابية ولن تعود تلك الأيام"¹، فكانت تأثير هذا الكلام على المجاهدين قويا فعقدوا العزم على تجريعه مرارة الموت بعمليتين استشهاديتين كانتا السبب في عدة أحداث لاحقة منها تحرير الشيخ "أحمد ياسين"، وتشجيع المجموعات الأخرى لتنفيذ هجمات أسرى على المستوطنين وجنودهم، فهنا أحد صور فعل المقاومة التي تمظهرت في الرواية، لسخرية الأمر الذي تحدث به نتن ياهو عن القضاء على المقاومة لا يزال يعيده اليوم بعد سبعة وعشرون سنة.

فالمقاومة اليوم كما كان يتخيلها ويحلم بها القائد خليل الشريف عندما قال: "حتى يأذن الله عز وجل -وتتوفر الأسباب والإمكانات التي تمكننا من انشاء جيل التحرير"²، استشهد خليل في عملية طريق بن يهودا حاملا معه هذا الحلم الذي أصبح حقيقة كاملة الأوصاف في قطاع غزة بجيش كامل متكامل لا يشتري السلام كما كان في فترة خليل بل يصنع سلاحه بأيدي المجاهدين داخل غزة بالرغم من كل المصاعب والحصار الخانق من العدو والصديق منذ 2007، لم يرى خليل حلمه يتحقق لكنه كان دعامة من دعائم هذا الجيش هو ومئات الشهداء الآخرين.

وتحمل الرواية ميزة خاصة جدا حيث يقول عنها "أحمد أبو زهري" في مقال له على موقع فلسطين أون لاين: "الرواية تؤسس لميلاد جديد من الأدب المقاوم في تاريخ العمل الجهادي الذي سطرته كتائب القسام في الضفة الفلسطينية، حيث تنقل القارئ ليعيش المشهد كأنه ماثل أمامه"³، فالرواية تعد تأريخا لأحد أكثر فترات المقاومة صعوبة، وأحد أبرز عمليات المقاومة الفلسطينية، بل وتستذكر أبرز قادة المقاومة ومجاهديها، فنجد الأسير ينقل لنا أحداث العمل الجهادي بتفاصيل لا يمكن أن يقولها لنا غيره بصفته جزءا من وحدة الشهداء لتحرير الأسرى، هذه التفاصيل التي لن ينتبه

¹ - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 191

² - المصدر نفسه، ص 83

³ - أحمد أبو زهري، الطريق الى يافا.. رواية البطولة وابداع المقاومة، موقع فلسطين أون لاين، 29 نوفمبر 2020، الساعة 10.02 بتوقيت القدس

لها المؤرخ أو الباحث، وهي ما تجعل الرواية تنبض بذلك العنفوان الصادر من المجاهد قبل وأثناء تنفيذه العملية الاستشهادية.

فرغم أن الروائي لم يكن مع الاستشهادي لحظة تنفيذه العملية إلا أنه يسرد بمعرفته بخلفية الاستشهادي آخر لحظاته فينقل على لسان بشار قبل تنفيذه العملية الاستشهادية في طريق بن يهودا قوله: "أنا الفلاح الذي يعيش الأرض أتيت من تراها المجهول في دم أجدادي بعرق الثوار وحوافر خيل المجاهدين، أنا يافا وحيفا وعكا وصفد، أنا أنسام الصباحات المسروقة، أتيت حتى أعيدني الى حاكورة جدتي في بئر السبع فلا طاب الموت إلا شهادة وقبرا هناك"¹، وتصف حالة النفسية للمجاهدين الآخرين بعد العملية فيقول واصفا سعادتهم بعد عملية محني يهودا: "اللحظة التي لم أنساها أبدا: خليل الشريف يسرع نحوي ويحتضني، يعانقني ويقبل رأسي رغما عني فيخجلني ثم نسجد ثلاثتنا سجدة شكر لله..."²، بل وتصف كذلك اللحظات التي تلي العملية وحالة التخبط التي كان عليها الاحتلال أجهزته الأمنية والاستخباراتية فيقول: "سيستمر العدو في تخطيطه وتصدير بعض الاخبار الاستفزازية حتى نخطئ فيصل الى طرف خيط يقود الينا، الأمر الذي منعنا حدوثه بالقرار الذي اتخذته القائد خليل: الهدوء التام وعدم تنفيذ أي نشاط مهما كان صغيرا"³، فمثل هذه التفاصيل يعجز عنها المؤرخ والباحث والمدون، ولن يستطيع توظيف مثل هذه المشاهد إلا من عايش اللحظة كممثل الأسير عمار الزين، والقارئ سواء كان الفلسطيني أو العربي أو المسلم ممن يتناول هذا العمل الروائي سيسرح بخياله إلى تلك الفترة دون أن تعيقه حواجز الاحتلال، وستدب في أعماقه روح المقاومة.

يؤكد "أحمد أبو زهري" على ذلك بقوله: "وتشكل هذه الرواية أهمية بالغة في صباغة وعي الشباب نحو الانطلاق لاستئناف العمل المقاوم ومحاكاة تجارب المقاومين السابقين والاستفادة من تجاربهم"⁴، هنا يبرز تأثير وفعل المقاومة في الرواية من خلال تشبع الشباب بوعي روح المقاومة والتي يستشعرونها من الرواية في كلام وافعال المجاهدين فيها الذين كانوا يجابهون الاحتلال بدون أي أسلحة متطورة كالتى يمكن امتلاكها اليوم، وستجدهم يتخذون الأسباب المحفزة للمقاومة والجهاد ويتخلون عن ذرائع المهزومين ويقفون في وجه هذا الاحتلال خاصة في مدن الضفة التي يأكلها الاستيطان كل يوم، وتغول فيها جنود الاحتلال والمستوطنين دون محاسبة إلا من بعض خلايا المقاومة القليلة والمحاصرة.

¹ - عمار الزين، الطريق الى شارع يافا، ص 320

² - المصدر نفسه، ص 231

³ - المصدر نفسه، ص 234

⁴ - أحمد أبو زهري، الطريق الى يافا.. رواية البطولة وابداع المقاومة

ولأن الروائي أسير يقبع في سجون الاحتلال المظلمة والظالمة فهو قد استطاع بشكل مبهر تحويل صوت المعاناة الدائم إلى صوت الغضب والمقاومة من خلال كلماته القوية في الرواية بل نجده يستخف من قسوة السجن في قوله عن تجربة الأسرى: "يدخلون ويخرجون من الأسر"¹، فلم يفصل الروائي سنوات السجن التي يمر بها كل فلسطيني مقاوم، بل على العكس من ذلك فهو يرى السجن ثمنا لا بد أن يتحمله كل مجاهد للاحتلال، بل إن بعض الأسرى يخرجون من الأسر وهم في كامل مشاعرهم الغاضبة تجاه الاحتلال ولو كلفهم ذلك العودة إلى السجن، ولو كلفهم ذلك حياتهم، فكل من سلك طريق المقاومة يعرف مآلاتها وضريبتها من سجن وتعذيب وقبلها مطاردة وبعدها شهادة يختتم بها كل مجاهد حياته التي يقضيها مقاوما للاحتلال.

وفعل المقاومة هنا يكمن في تحريك الغضب العارم في نفس الأسير الدامية، فنجد مثلاً القائد المجاهد يحيى السنوار والذي قضى في سجون الاحتلال قرابة ثلاث وعشرون سنة، وتحرر في صفقة وفاء الأحرار سنة 2011، لم يلبث أن عاد إلى غزة ويؤسس لأكبر عملية عسكرية في تاريخ المقاومة من خلال طوفان الأقصى، فلا السجن حطم رباطة مقاومته ولا التعذيب هناك، بل عاد وكل ما يفكر فيه كيف سنذيق هذا الكيان المحتل مرارة الموت التي يتجرعه الشعب الفلسطيني كل يوم دون أن يلتفت أحد له.

يختلف حقل مصطلحات الروائي الأسير عن الروائي الحر حتى لو كانت الرواية سرداً لحادثة واحدة، فكيف إذا كان السارد جزءاً من تلك الحادثة، فالأسير "عمار الزبن" حملت روايته إبداعاً خاصاً لا يمكن للذي خارج السجن أن يحمله، ويظهر ذلك في روايته من خلال كلماته القوية تجاه الصهاينة فيقول واصفاً الصهاينة: "صنعة الظلم التي يمتنعها محتل بلادي، تجعل منه حكاية غباء يبدؤها بحماقة فتنتهي بصفعة على رقبته"²، فكان هذا التعبير للاستهانة بالاحتلال وظلمه، تدرك من خلاله نفسية الروائي وطبيعته المقاومة من داخل أشد الزنازين قسوة وظلماً.

وفعل المقاومة هنا يبسطه الأسير من خلال نبرة القوة والغضب في نفس الوقت عندما وصف حالة توفيق "وهو يرى صورة شيطانهم بنيامين نتن ياهو معلقة على كثير من الحال وقد أقسم أن يحيل ابتسامته الوقحة إلى بكاء من دم"³، وفي قوله لحظات قبل تنفيذ العملية الثانية في بن يهودا "أما

¹ - عمار الزبن، الطريق إلى شارع يافا، ص 124

² - المصدر نفسه، ص 169

³ - المصدر نفسه، ص 221

التوقيع فسيمهره خليل أولاً، سيركل قبر بن غوريون بقدمه صارخاً: انهض أيها السارق، سأمزق اليوم وثيقة اغتصابك لبلدي، أعلمت؟ لقد مات من بعدك أُرانك الموقعين وبقي وطني حياً"¹، وثم سخرته مرة أخرى من أحد قادة الكيان بقوله " أخبر عجوزك الشمطاء غولدا مائير أن عمر جدي أطول من عمركما معا فلا زال يضرب بعكازه على الأرض وقد أورثني ذاكرة لا تنسى، احترقا بقبركما غيظا واطربا على عزفنا الذي سيبدأ في الحال فوطني الجميل بدوغمكا بدأ يعود"²، وفعل المقاومة في هذه الاقتباسات ماثل بوضوح من خلال تعبيرات مليئة بالغضب والقوة والرغبة في المقاومة، ثم عودته لشخصيات من تاريخ الاحتلال الصهيوني ممن كانت السبب في معاناة كبيرة للشعب الفلسطيني وتوعده بالانتقام منهم ومن خلفائهم من قادة الصهاينة، فالروائي هنا يحاول إشعال فتيل الحماس في نفسية القارئ والذي بدوره سيصدره لغيره من الشباب، الذين سيسترجعون بذاكرتهم الرعب الذي كان شباب وحدة "الشهداء لتحرير الأسرى" يزرعون في الاحتلال وقادته وحتى يعرف شباب اليوم أن هذا المحتل قابل للانكسار بل للتحطم.

ولأن الفلسطيني يبقى حاملاً لثأره ويورثه أولاده وأحفاده يظهر ذلك من خلال ما كتب الروائي واصفا الاحتلال و مخلصاً إصراره المقاومة حيث يقول: " وكنت أشير الى الطريق المليء بشذاذ الأفاق، قراصنة الأحلام وقتلة الأطفال الذين يظنون بأن دم أطفالنا لن يلاحقهم"³، و تلك الجملة الأخيرة بمثابة التهديد الصريح من الأسير على استمرار المقاومة مادام هناك صهاينة يقتلون أطفال فلسطين ولعنة دمائهم ستضل ملاحقة لهم حتى خروج آخر صهيوني من هذه الأرض المباركة، فعل المقاومة يمكن هنا في كون الأسير المقاوم يظل حاملاً للواء الجهاد مهما طال به الأمد في السجن بل وإن رغبته تزداد كلما طال به الاسر وكلما زاد التعذيب واشتد كلما كان غضبه وروح المقاومة فيه أقوى.

في الرواية يظهر جلياً مظاهر المعركة الاستخباراتية والأمنية من خلال أفعال وأقوال وقرارات يتخذها المجاهدين في الرواية فنجد فيما فعله أبو أيمن في الساعات الأخيرة التي سبقت عملية محني يهودا عندما أعطى أحد الاستشهاديين خاتماً نقش على جزء الداخلي اسم "فيروز" وكانت خطته لكي لا يُكتشف الاستشهادي وشرح لهم هذا الفعل بقوله: " الخاتم في اليسار للمتزوجين ، ومخبرات العدو ستمكث

¹ - عمار الزين الطريق الى شارع يافا، ص 317-318

² - المصدر نفسه، ص 318

³ - المصدر نفسه، ص 317

سنوات طويلة وهي تبحث عن رجل كبير اسم زوجته فيروز¹، فكانت هذه الحيلة من أبو أيمن لتجنب كشف اسمي الاستشهاديين ولتضليل مخبرات العدو الصهيوني الذي سيجند كل قواته من أجل البحث عن اسم منفذي العملية.

ولم تكن تلك الخطة الوحيدة تالتي كانت في جعبة الوحدة بل إن القائد خليل كانت له فكرة أخرى حيث يقول الروائي عنها: "قام خليل بأمور وقائية عديدة، تمزيق القشرة الجلدية الخارجية لأصابعهما تمويهاً للبصمات ثم طلي الأصابع بمادة لاصقة شفافة"²، ثم "وضع نقوداً أردنية إلى جانب عملية العدو-الشيكل-المستخدمة في الأراضي المحتلة قسراً"³، فكان هذه القرارات من القائد خليل للتمويه على الاستشهاديين وتجنب كشف أي معلومة تدل عليهما وكانت النتيجة تخبط العدو حيث سم يصل إلى أي طرف خيط يقوده إلى اسمي الاستشهاديين.

وقد نجحت المقاومة في ذلك حيث يصف الروائي تخبط العدو بعد العملية بقوله: "العدو يتخبط، شهداء بلا أسماء وعناوين، نمط جديد من المقاومة السرية لم تعتد عليه أجهزة أمن العدو"⁴، فالمقاومة استعملت طرق إبداعية إلى التمويه والعمل السري الذي جعل لها التفوق في هذا المعركة بالرغم من التفوق التكنولوجي الواضح للعدو الصهيوني، ورغم ذلك لم يستطيعوا اكتشاف أي معلومة طوال سنوات تلت العملية، ومن الواضح تعاطي الروائي مع هذا الأمور التي كان قد خصص لها الكثير من المقاطع السردية الحوارية والوصفية فكانت كالدروس التعليمية للجيل الحالي وحثهم على الإبداع في مواهبة هذا العدو وعدم الخوف من تفوقه التكنولوجي فالعقول فعل ما تعجز عنه أكثر الأجهزة تطوراً، والصراع الأمني والاستخباراتي لا يتوقف هنا فعبقرية المجاهدين في الرواية سينهل منها القارئ المقاوم لاحقاً.

ومن مظاهر الفعل الاستخباراتي المقاوم كان استغلال أبو أيمن لعمله في أجهزة أمن السلطة لإبعاد الشبهات الأمنية عنه خاصة من طرف عملاء الاحتلال المنتشرين في كل مكان في الضفة وخاصة مناطق سيطرة السلطة الفلسطينية، فتحمل أبو أيمن مرارة بعض الكلمات القاسية ممن لا يعلمون ظروف عمله الاستخباراتي حيث يقول: "في الوقت الذي أصبحت فيه لدى الغالبية العظمى متساقطاً

¹ - عمار الزبن، الطريق إلى شارع يافا، ص 206

² - المصدر نفسه، ص 209

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها

⁴ - المصدر نفسه، ص 233

على طريق الدعوة، في أسوأ شكل يمكن أن يتخيله المرء¹، فكان في صراع شديد مع نفسه لتحمل العمل بضع شهور أو سنوات حتى ينتهي عمل الوحدة على الأقل، وبفضل عمله استطاع التحرك برية في نابلس، ويظهر هنا فعل التمويه عند المقاومة من خلال أساليب كان يستعملها المجاهدين خلال عملهم المقاوم.

3/ القائد خليل الشريف:

سنوات التسعينات التي كانت الفترة الزمنية التي حدثت فيها عمليتي شارع يافا كانت من أكثر الفترات صعوبة في تاريخ المقاومة الفلسطينية وقد أشار لها الروائي بشكل صريح حتى يستطيع ابلاغ المواقف الحقيقة من منظور المجاهدين ذلك الوقت ومن منظور المقاومة ككل، حيث جعل من وحدته مثال لما كان يعانيه المقاومون بعد اتفاقية أوسلو بين الكيان الصهيوني ومنظمة التحرير الفلسطينية، وكان واجبا عليه الخروج الى هذه النقطة رغم ما فيها من حساسية بين الفلسطينيين، ذلك أن قائد وحدة "الشهداء لتحرير الأسرى" والشخصية الأبرز في الرواية خليل الشريف كان على تماس مباشرة مع تبعات هذه الاتفاقية التي جعلته يغير قناعاته بشكل كامل، وخصص لها الروائي جزء لا بأس به في بداية روايته من خلال الإشارة الى ملاحقة السلطة الفلسطينية للمقاومة من خلال اعتقال محمود أبو هنود ووحدته المكونة من يوسف، بشار، توفيق ومعاوية.

قبلها كانت الحادثة الأهم حيث ففز بالزمن إلى شهور سابقة قبل لقاء خليل الأول مع الوحدة القسامية في المغارة، وتحديدًا في غرفته في الجامعة التي كان يتقاسمها مع المهندس أيمن حلاوة في حوار دار بينهما بعد اتفاقية أوسلو حيث يقول خليل لأيمن: "لقد نشأت على مفهوم يلازمي من بعيد، أن فتح تعني البندقية والبندقية تعني طريق التحرير"²، وكان خليل وأيمن ينتميان إلى نقيضين سياسيين وحتى أيديولوجيين، لكن ذلك لم يمنع صديقي الطفولة من التجانس وكان اتفاقية أوسلو النقطة الفارقة في علاقتهما وتحديدًا عند خليل الذي رفضها رغم انتماءه إلى الجهة التي وقعت عليها ورفض هذا الطريق واستشهد بكلام أحد قادة المقاومة "صلاح خلف" الذي نقل عنه قوله: "الذي يذهب إلى المفاوضات بدون سلاح حمار"³، فلم يكن خليل يستسيغ مسار التسوية الذي سارت عليه منظمة التحرير وكان يرى الطريق أي التحرير يمر على الدماء والمقاومة المسلحة .

¹ - عمار الزين، الطريق الى شارع يافا، ص 47

² - المصدر نفسه، ص 42

³ - المصدر نفسه، ص 44

كان الروائي قد استغل هذه الحلقة من حلقات القصة في قوله على لسان خليل: "أنني على النهج الذي يقود الى التحرير، نهج أبو اياد ويحيى عياش وكتائب القسام"¹، فكان هذا القرار هو تغيير شامل في حياته من مسار التسوية الى طريق المقاومة ونهج الجهاد، يقول عبد الله البرغوثي في كتابه بوصلة المقاومة: "وأن تحرير فلسطين وقدسها وأقصاها لا يكون الا من خلال الجهاد، فطريق التفاوض هو طريق عبثي بلا جدوى أو نفع، لأن الصهاينة السهود نقضة للعهود والوعود"²، وحقيقة ما قاله بعد بعض سنوات نقض الصهاينة كل بنود اتفاقية أوسلو بل لا يزالون حتى اليوم ينقضونها مرارا و تكرارا من خلال عمليات الاستيطان والعمليات العسكرية داخل المدن التابعة للسيطرة المدنية والأمنية للسلطة الفلسطينية بحجة مواجهة المقاومين الذين يطلق عليهم الاحتلال لفظ المخربين، وهذا الذي كان خليل متأكد من حدوثه.

فضل الروائي أن يتبعد عن الخوض في تفاصيل الصراع التي لم يشأ أن يخوض فيه، بل ترك للقارئ حرية البحث عن تبعات ذلك الاتفاق وتأثيره السيء على المقاومة والشعب الفلسطيني، بل كان يرى في اتفاق أوسلو جوانب إيجابية من خلال زيادة شعبية المقاومة وانضمام مقاومين جدد للمقاومة المسلحة الإسلامية، ولعل خليل هو أبرز وأقوى مثال حيث عبر عن انضمام خليل لكتائب القسام بقوله: "كان سببا في إعادة عمل كتائب القسام بعد انقطاعه"³، حيث وبعد استشهاد المهندس يحيى عياش خفت قليلا شدة العمليات التي كانت تقوم بها المقاومة، فسأقت أقدار الله شابا من غياهب التسوية إلى أعلى درجات التضحية والجهاد، فكان خليل قائد الوحدة أذاقت العدو الصهيوني علقما وكان هو الشاب الذي ضحى بنفسه في سبيل الله والوطن في عملية طريق بن يهودا ومنذ ذلك الوقت عادة المقاومة الى نشاطها.

3/ الشيخ أحمد ياسين:

تربية الروائي الإسلامية ظهرت جليا في كل صفحات الرواية من خلال الكثير من التعبيرات التي تشير الى تعليمه الديني ويقول في أحدها: "لم تفارقنا فكرة الجيش مطلقا حلمنا بها منذ الصغر، ربانا عليها شيوخنا وقادتنا العظام"⁴، فكانت التربية التي تلاقها الأسير سارية معه حتى بين سطور روايته،

¹ - عبد الله البرغوثي، بوصلة المقاومة، ص 45

² - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 43

³ - المصدر نفسه، ص 47

⁴ - المصدر نفسه، ص 83

حيث كان دعاة فلسطين يعملون على تربية الصغار على الجهاد و التشبث بفكر المقاومة الإسلامية حتى يكبروا عليها وهذا ما نلاحظه اليوم في كلمات المجاهدين في طوفان الأقصى وأعمالهم وصبرهم وتضحياتهم، بل وحتى العامة من الناس الذين يفقد البعض منهم أكثر من مئة من أهله وعائلته ليقابل ذلك بالرضى والصبر.

أبرز هؤلاء المشايخ والدعاة الذين زرعوا رؤية وفكر الروائي كان الشيخ "أحمد ياسين" والذي كان تحريره ذلك الوقت هدف وحدة "الشهداء لتحرير الأسرى"، فجاء الروائي على ذكره للتأكيد على أهميته في حياة كل المجاهدين والمقاومة بصفة عامة، يقول عنه: "حيث قادنا أبو أمجد في مهمتنا الاستطلاعية للبحث عن هدف نستطيع من خلاله تحرير الشيخ المجاهد أحمد ياسين، قائد الحركة المعتقل في سجون العدو منذ عام 1989 ويقضي حكما بالمؤبد مرتين رغم شلله الكامل"¹، ومقصد الكلام كله يأتي من خلال ما أشار إليه الروائي في آخر الاقتباس عندما ذكر المرض الذي يعاني منه الشيخ "أحمد ياسين" وهو الشلل الكامل في كل أطرافه، كل قارئ هنا لابد أن يعمل عقله ويتساءل كيف لشيخ مقعد أن يسبب هذا الرعب لكيان يملك أصناف لا تحصى من أقوى أنواع الأسلحة، والجواب يكمن في سيرة الشيخ "أحمد ياسين" التي ربي الجيل الأول من مجاهدي كتائب الشهيد عز الدين القسام وكان منهم الروائي الأسير عمار الزبن.

يقول الشيخ "أحمد ياسين" في شهادته على العصر مع الصحفي "أحمد منصور" في "كتاب الجزيرة: شاهد على العصر" عن بداية تكوين الحركة الإسلامية من خلال العمل الدعوي والتربوي والفكري: "الذي بدأت به حياتي هو الذي انتهيت إلى العمل به، كنت أجمع اثنين أو ثلاثة أو خمسة، كنت أعمل لهم أسرة وكانوا يجلسون ويتدارسون الإسلام مع بعض توجيهات وإرشادات، وهكذا كل مجموعة بين ثلاثة أو أكثر..."²، وحين سألته المقدم عن طبيعة ما يقوم بتدريسه قال الشيخ "أحمد ياسين": "قرآن وسنة، بالأول قرآن + سنة + أحاديث + الفكر الإسلامي من الكتب المطروحة في الساحة"³، فالذي كان يفعله الشيخ "أحمد ياسين" هو تربية الشباب القادم من خلال تعليمهم الشريعة الإسلامية متمثلة في القرآن والسنة ثم ضبط فكرهم عن طريق كتب الفكر الإسلامي وكذلك التوجيهات والارشادات التي يجب أن يعقلها كل مقاوم شاب.

¹ - عمار الزبن، الطريق الى شارع يافا، ص 107

- أحمد منصور، كتاب الجزيرة: الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة، دار ابن حزم، القاهرة-مصر، ط1، 2004، ص

81²

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

ويضيف الشيخ واصفا طبيعة الأفكار التي كان يبثها في عقول الشباب والفتية: "نحن فلسطينيون ونحن مسلمون ونحن نريد أن يكون الإسلام نظاما في الحياة وبما أن وطننا محتل فنحن نريد أن نحرر وطننا، فنحن لدينا قضيتان في الحياة هما: قضية المبدأ والعقيدة وقضية الوطن، العقيدة لا بد أن تنتصر وأن يكون لها وجود على الأرض لا بد من إقامة دين الله في الأرض وبما أن أرضنا محتلة فلا يمكن أن نحقق هذا دون تحريرها لهذا لا بد أن نحررها... هذه هي الفكرة التي كان يدور حولها كل نشاطنا"¹، ولا بد أن الأسير "عمار الزين" كان متشعبا بهذه الفكرة وكل المجاهدين في الرواية الذين تربوا على يد الشيخ "أحمد ياسين"، فالذي كان يخاف منه الاحتلال الصهيوني ليس قدرة الشيخ على حمل السلاح بل قدرته على توجيه الشباب بأفكاره المقاومة، وهذا دليل أن الكيان الصهيوني لا يخشى فقط من صاحب السلاح بل حتى من صاحب الكلمة المفكر والداعية والأديب، ولهذا حرص الروائي على التذكير بالشيخ وأهميته فهو رغم كونه مشلولاً إلا أن أفكاره كانت تترشح وتلج عقول كل الشباب في ذلك الوقت والدليل على ذلك أن كل المجاهدين الذين كانوا في هذه الرواية لم تكن تتجاوز أعمارهم ثلاثون سنة، بل إن المجاهدين الذين يعملون اليوم في غزة والضفة نهلوا من منبع الشيخ الفكرية والدعوية من تلامذة الشيخ ممن ساروا على دربه الدعوي، الفكري، المقاوم فطوفان الأقصى اليوم هو نتيجة لأفكاره بل إنه تنبأ بزوال الكيان الصهيوني قبل سنة 2027²، ولا يعيننا تحقق نبوءته من عدمها فالأهم أن زرعه لا يزال يثمر بعد مرور عشرين سنة على استشهاده بعد صلا فجر اليوم الثاني والعشرين من مارس سنة 2004.

في الرواية استطاع الروائي أن يدغدغ عقل القارئ بإشارة بسيطة، فكل قارئ باحث يهدف للمعرفة والإحاطة بما يعنيه الشيخ "أحمد ياسين" عند الروائي والمجاهدين سيجد بين صفحات الكتب وسطور المقالات التي تحكي سيرة الشيخ المجاهد ومنه يلتقف أفكاره المقاومة والتي بدورها ستغلف عقل القارئ ليتعرف منها معاني الجهاد والمقاومة في فكره.

ولعل استرجاعا بسيطا من القارئ الجزائري سيجد بين ثنايا تاريخ الجزائر تجربة جمعية العلماء المسلمين الجزائرية بقيادة أعلامها "كالشيخ عبد الحميد بن باديس" و"الشيخ البشير الإبراهيمي" و"الفضيل الورتلاني" و"العربي التبسي" وغيرهم الكثير ممن زرعوا فكرة الجهاد والمقاومة في الشباب

¹ - أحمد منصور، كتاب الجزيرة: الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة، ص 81

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 244

الجزائر الذين قادوا ثورة التحرير الكبرى ولا شك أن في ثورة الجزائر العبرة الكبيرة التي أخذ ولا يزال يأخذ منها الإخوة في فلسطين ويسيطرون على نفس الدرب في طريق الجهاد والتحرير.

وما طوفان الأقصى إلا صورة معادة ومتطورة من صور تأثير الفكر المقاومة على الشباب، فشباب غزة الذين يقودون معارك المقاومة في غزة اليوم هم شباب تشربوا فكر الشيخ "أحمد ياسين" المقاوم الرفض لأي مسار للتسوية مع المحتل، بل العمل المقاوم المغلف بالصيغة الإسلامية التي تزيده قوة، هي فكرة استطاع الروائي تجسيدها بين سطور روايته من خلال أفعال وأقوال المجاهدين الذين عملوا في وحدة "الشهداء لتحرير الأسرى" فنجدها:

- "أعلننا الصيام، عدة المتوكلين على الله، فلا أعجز من عمل لا ترتبط وجهته بالسماء، تباركه معية الله..."¹

- "نحن لا نموت، نमित عدونا ونلقى الله شهداء، أحياء عند ربنا نرزق"²

- "يجلس على سجادة الصلاة بعد أن أعذر إلى الله وأخذ بجميع الأسباب المطلوبة لإنجاح الخطة"³

- "ألم تتابع على الموت في سبيل الله"⁴

إن مثل هذه الاقتباسات من الرواية تظهر مدى تشرب وتشبع الروائي والمجاهدين في وحدة "الشهداء لتحرير الأسرى" لفكر الشيخ أحمد ياسين والذي بدوره يقود القارئ إلى فكرة أعم بكثير، هي أهمية

تجلي فعل المقاومة في الرواية ظهر من خلال إبراز الروائي للتفاعلات بين الماضي والحاضر والتأويل العام بالعودة إلى أحداث التي وقعت في تلك الفترة، فاستطاع الأسير "عمار الزبن" إيقاظ القارئ من غيبوبة الجمود إلى إعمال وعي المقاوم من خلال تأثير أفعال وأقوال المجاهدين على الرواية على نفسية القارئ الشاب الذي يجب أن يرى في هذه الشخصيات الدافع للإرادة المقاومة، وخلاصة أن المقاومة الأدبية والفكرية تبرز حقيقة من خلال ما وراء كلماتها أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع بغيرها، وحقيقة

¹ عمار الزبن، الطريق إلى شارع يافا، ص 89

² - المصدر نفسه، ص 172

³ - المصدر نفسه، ص 188

⁴ - المصدر نفسه، ص 299

أن العمل المقاوم لا يمكن بأي حال من الأحوال أو ذريعة من الذرائع الواهية من المشبطين أن يتوقف مادام الاحتلال موجودا ويصر على جرائمه بحق الأرض وأهلها.

الخاتمة

الخاتمة:

انصهرت أعمال المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيوني في قالب سردي مميز، فكان علينا واجب الاضطلاع على هذه الاعمال التي تتصور ملاحم وبطولات المقاومة وترسم ميزات الأسير في الكتابة الأدبية رغم الصعوبات التي يعانها الأسرى في سجون الاحتلال الصهيوني، فالبحت في أدبي المقاومة والسجون واستنطاق دلالات النصوص يحيلنا إلى الكشف عن مدى الثراء الفكري والإبداع في هذه الأعمال الإبداعية المولودة من رحم المعاناة والاحتلال من جهة، ومن جهة أخرى إلى التعرف على روائيين مبدعين تحدوا السجن والسجان واستطاعوا استعمال الأدب في تكوين جدار فكري لمحاربة الاحتلال الثقافي الذي تتعرض له فلسطين والأمة الإسلامية

ومن خلال رواية " الطريق إلى شارع يافا " التي خط سطورها الأسير "عمار الزبن" من داخل زنزائته، استلهمنا سبل وصور رجال المقاومة المجاهدين وكيفية الإعداد للعمليات الجهادية والاستشهادية وأهم ما يصحبها من عقبات تنهكهم، وجواسيس ترقبهم وجنودا يرصدونهم ليل نهار، فآثروا الجهاد والتضحية بالروح والجسد فداء هذا الدين والوطن ، فكان هذا الفصل من فصول الصراع بين المقاومة والكيان الصهيوني فاشتغلنا على هذا الرواية لما فيها من هذه المميزات لرصا

ولأن البحث قد انطلقنا فيه من قاعدته البنيوية، حيث عرجنا إلى كل مكون سردي تحليليا وتأويلا وتفسيرا بحثا عن صورة المقاومة الفلسطينية التي رسمت على صفحات الرواية، وتقصيا لفعل المقاومة الساكن بين سطورها ومضامينها، وللتفصيل في هذه الصور في الرواية المدروسة يمكن إنجاز ما يلي من النتائج :

- أدب المقاومة هو سبيل من سبل الجهاد بالقلم، والكلمات مهمة بقدر الرصاص، وهي جدار دفاع لا غنى عنه في المعركة الفكرية والثقافية الدائرة في الأراضي الفلسطينية المحتلة وحتى خارجها.
- يعتبر أدب السجون المرآة العاكسة لمشاعر الأسير من خلال الأدب، حيث يستعمل الأسير الأدب لتحرير كلماته فتكون بذلك أدوات لإسماع صوته المحتجز في زنازين بني صهيون.

- لقد ذهب الرواية إلى الكشف عن مكنونات المجاهدين والمقاومين وتكوينهم الديني والفكري، كما كشفت عن ما يعانيه المقاوم من أجل تنفيذ تلك العمليات الاستشهادية من لحظة اتخاذ القرار إلى لحظة الاستشهاد.

- ما يميز الرواية التي بين أيدينا ذلك الحس العميق بأهمية المقاومة وبعدها العقائدي والوطني فالروائي الأسير كان أحد المجاهدين في العمليات التي حكى قصتها، والمميز أيضا في الرواية أن شخصياتها حقيقية وواقعية فكل مجاهدي وحدة الشهداء لتحرير الأسرى قد ارتقوا في سنوات الانتفاضة الثانية بينما يقبع اثنان منهم في الأسر هما الروائي ومعاذ بلال، كما تصور لنا الرواية كذلك الحالات النفسية والمشاعر التي تتملك المجاهدين خلال حياتهم وخلال تنفيذهم العمليات الجهادية والاستشهادية.

- لم يكتف الروائي برسم صورة المقاومة المقتدرة والقادرة على إيلاء الكيان الصهيوني فقط، بل قام بتقديم مجموعة من الأحداث التي يمكنها التأثير على المستقبل من خلال إحياء فكرة العمليات الإستشهادية، فالأسير عمار الزبن استطاع بلغة واضحة واصفة رسم بسالة المقاومة وعبقريته المقاومين من خلال المعركة الاستخباراتية والأمنية التي كانوا يخوضونها في الخفاء.

- تمكن الأسير عمار الزبن من التوفيق بين استذكار الماضي واستشراف المستقبل في الرواية، فكان يروي الماضي ويعود مستشرفا المستقبل على لسان الشخصيات، فعمل الاستباق في الرواية دور التشويق للأحداث التالية خلال التخطيط والتجهيز وتنفيذ العمليات الاستشهادية من خلال عدد مهم من الاستشرافات، كما تمكن الروائي من سرد استرجاعات تاريخية موحية في قوالب لغوية تجعل من القارئ في حالة شعورية عاطفية تجاه القضية المركزية، فقلد تميزت الرواية بكونها تسرد أحد أعظم لحظات المقاومة والصراع بين المقاومة ممثلة في وحدة "الشهداء لتحرير الأسرى" القسامية والعدو الصهيوني.

- استخدم الروائي اللغة للكشف فعل المقاومة من خلال الصراعات الخفية التي يخوضها عقل الأسير والمقاوم من خلال اشارته إلى معركة المصطلحات و عروجه إلى مسألة إسلامية الصراع في فلسطين ثم الخطر الكبير الذي يهدد القدس والمتمثل في التهويد الذي يعمل عليه الصهاينة في صمت.

- استطاع الروائي أن يقود القارئ إلى البحث في ما وراء الكلمات والشخصيات والأحداث من خلال إشارته إلى العلاقة الطردية بين فكر المقاومة والمساومة حيث تسبب ذلك في تغير انتماء القارئ خلال تحليل وتحوله لنهج المقاومة، كما كان الشيخ الشهيد أحمد ياسين المركز الفكري الذي أخذ منه الروائي و المجاهدون في الرواية والمجاهدون في الحاضر فكرة استمرارية المقاومة حتى التحرير الشامل والكامل لفلسطين.

هذا العمل ما هو إلا محاولة لمساهمة بسيطة لإبقاء القضية المركزية موضوعاً دائماً لا يتم إهماله أو نسيانه أو التعود عليه، وما هو إلا محاولة لفهم عمل المقاومة وفكر المقاوم من عمق أسير عايش هذه الأحداث وكان أحد أبطالها، وقد كان جهدنا أيضاً لإبراز جزء صغير من أدبي السجون والمقاومة الذي يعتبر صرحاً من صروح الجهاد بالكلمة.

وككل عمل بحثي قد تطاله بعض النقائص فإن أصبت فمن الله وحده وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وعسى أن يكون هذا العمل إضافة لمكتبة الجامعة، ويفيد الطلبة الراغبين في دراسة الأدب المقاوم في سجون الاحتلال الصهيوني، مستغلين الأوضاع الحالية للعدوان الصهيوني على قطاع غزة، راجين من المولى النصر لهذه مجاهدينا الأبطال المدافعين عن أولى القبلتين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك وعد الله أن يجزى به تَجْتَحِثُ تَحْتَهُ شَرٌّ جَمٌّ حَمٌّ خَمٌّ، تقبل الله شهدائنا الأبرار وشفى جرحانا الميامين و فك قيد أسرانا الأحراراً ١٢٧ .. نصر أو استشهاد.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الملحق

التعريف بالروائي:



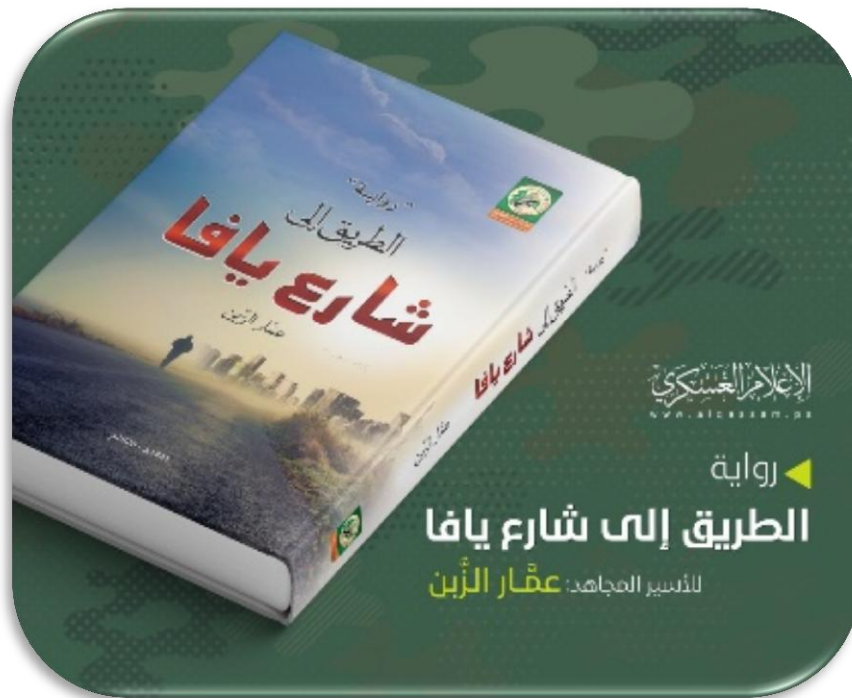
ولد الأسير عمار الزبن سنة 1976 في مدينة نابلس شمالي الضفة الغربية، فدرس في مدارسها، وحصل على شهادة الثانوية العامة سنة 1994 هناك ومع بداية تشكيل خلية "شهداء من أجل الأسرى"، كان عمار أحد أركان هذه الخلية عاملا سريا ولم يكن يخطر ببال أحد أن يكون هذا الفارس جندي المرحلة سيما أنه مان يعمل شرطيا

في سجن نابلس المركزي بدأت رحلته مع الاعتقال الأول سنة 1993 عندما كان يبلغ من العمر 16 سنة ثم الإلتقال الثاني سنة 1994 بعد أن ألقى كلمة تحرض على الجهاد لطرد الإحتلال في تأبينية أخيه الشهيد بشار، ثم الاعتقال الثالث و الأخير سنة 1998 خلال عودته من الأردن، وحكمت عليه محاكم الجور الصهيونية بستة وعشرين مؤبدا وخمسة وعشرين سنة،

وفي سجون الظلمة ظهر إبداعه الأدبي من خلال رواياته التي خطها من داخل اللسجون الصهيونية وهي تواليا: "عندما يزهر البرتقال" سنة 2011، "خلف الخطوط" سنة 2015، "الزمرة" سنة 2017، وأخيرا "الطريق إلى شارع يافا" سنة 2020.

ولا يزال الأسير عمار الزبن يكابد الأسر الصهيون بظلمه وظلماته حتى اللحظة فك الله بالعز قيده





غلاف رواية الطريق إلى شارع يافا



قائد وحدة الشهداء لتحرير الأسرى

الشهيد خليل الشريف

1997/09/04 – 1973/04/25

24 سنة



قائد كتائب الشهيد عز الدين القسام في الضفة الغربية

الشهيد محمود أبو الهنود

2001/11/24 – 1967/07/01

34 سنة



الاستشهاديون منفذو عمليتي شارع يافا

الشهيد بشار صوالحة

1997/09/04 - 1973/07/21

24 سنة

الشهيد معاوية جرارة

1997/07/30-1974

23 سنة

الشهيد يوسف الشولي

1997/09/04 - 1975/03/10

22 سنة

الشهيد توفيق ياسين

1997/07/30-1973

24 سنة



الشهيد الشيخ يوسف السركجي

2002/01/22–1961/05/30

41 سنة



قائد وحدة الهندسة في وحدة الشهداء لتحرير الأسرى

الأسير معاذ بلال

ولد سنة 1973, تم اعتقاله في 1998/01/11 وحكم عليه بـ 26 مؤبد و 27 سنة

عمره 51 قضى منهم 26 سنة متتالية في الأسر



مهندس وحدة الشهداء لتحرير الأسرى

الشهيد نسيم أبو الروس

2002/01/22-1974

28 سنة



مهندس وحدة الشهداء لتحرير الأسرى

الشهيد جاسر سمارة

استشهد في 2002/01/22

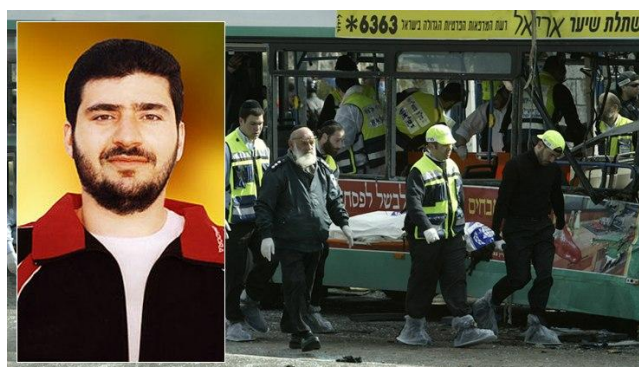


أحد أفراد وحد الشهداء لتحرير الأسرى

الشهيد المهندس مهند الطاهر

2002/06/30-1974

28 سنة



أحد أفراد وحدة الشهداء لتحرير الأسرى

الشهيد المهندس أيمن حلاوة

2001/10/22-1974/10/27

27 سنة



الشيخ أحمد ياسين

2004/03/22 – 1936/06/28

67 سنة

كان تحرير الشيخ أحمد ياسين هو هدف خلية الشهداء لتحرير الأسرى



قرية عصيرة الشمالية وجبالها حيث كانت المغارة التي كانت تأوي محمود أبو هنود واخوته المجاهدين



مدينة نابلس



الجزء الشرقي لمدينة القدس المحتلة



الجزء الغربي لمدينة القدس المحتلة



شارع يافا



سوق محني يهودا (مكان تنفيذ العملية الأولى)



شارع بن يهودا (مكان تنفيذ العملية الثانية)

A decorative border with floral and scrollwork patterns surrounds the central text.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا - المصادر

1. عمار الزبن، الطريق إلى شارع يافا، دائرة الإعلام العسكري - كتائب الشهيد عز الدين القسام، غزة (فلسطين)، ط1، 2020

ثانيا - المعاجم:

1. ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشدين المتحددين، صفاقس (تونس)، ط1، 1986.
2. أحمد مختار علي، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة (مصر)، ط1، 2008.
3. جمال الدين محمد ابن منظور: لسان العرب، ط1، د.ت، دار المعارف، القاهرة - مصر.
4. جمال الدين مكرم ابن منظور الطرابلسي، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، د.ط، د.ت.
5. جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد امام، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط1، 2003.
6. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت (لبنان)، ط1، 1985.
7. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت - لبنان، ط1، 2002.
8. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة (مصر)، د.ط، د.ت، 2008.
9. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مادة (زمن)، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2008.
10. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: محمد نعيم الحرقسوتي، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط8، 2005.

ثالثا - الكتب:

1. إبراهيم المقادمة، نعالم في الطريق لتحرير فلسطين، مكتبة فلسطين المصورة، ط2، 2002.

2. أحمد منصور، كتاب الجزيرة: الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة، دار ابن حزم، القاهرة-مصر، ط1، 2004.
3. جان ريكاردو، قضايا الرواية الحديثة، تر: صياح الجهم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977.
4. جيران جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط1، 1997.
5. حسن مجراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصيات)، المركز الثقافي العربي ، بيروت (لبنان)، الدار البيضاء (المغرب)، ط1، 1990.
6. الحسن بن عبد الله بن هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الأحياء للكتب العربية، بيروت (لبنان)، ط1، 1952.
7. حسين جمعة، ملامح الأدب المقاوم: فلسطين نموذجاً، منشورات الهيئة العامة الوديعية للكتاب، دمشق (سوريا)، د.ط، 2009.
8. حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، 1991.
9. رأفت خليل حمدونة، الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية في الفترة ما بين 1985 إلى 2015م (دراسة بحثية)، وزارة الإعلام الفلسطينية، ط1، 2018.
10. رولان بارت، النقد البنيوي للحكاية، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1988.
11. زكريا بوغراة، الأكف الممزقة (مجموعة قصصية)، مؤسسة إسلاماه للإعلام، د.ب، ط1، د.ت.
12. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن ، السرد ، التبعية) ، المركز الثقافي العربي ، بيروت (لبنان)، الدار البيضاء (المغرب)، ط3، 1997.
13. سميح قاسم، ديوان سميح قاسم، دار العودة، بيروت (لبنان)، د.ط، 1987.
14. سيزا قاسم، بناء الرواية، (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2004، د.ط.
15. شرف الدين ماجدولين، الصورة السردية في الرواية والقصة والسينما، الدار العربية للعلوم، بيروت (لبنان)، ط1، 2010.

16. صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير عند سيد قطب، عمان (الأردن)، ط1، 2016.
17. عادل الأسطة، أدب المقاومة من تفاعل البدايات إلى خيبة النهايات، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق (سوريا)، ط2، 2008.
18. عادل محمود رياض، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 1989.
19. عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي، مقارنة نظرية، مطبعة الأمنية زنقة دمشق، الرباط، ط1، 1999.
20. عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، دمشق (سوريا)، ط1، 2008.
21. عبد الله البرغوثي، بوصلة المقاومة، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2015.
22. عبد الله البرغوثي، مهندس على الطريق: أمير الظل، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2015.
23. عبد الله غالب البرغوثي، أمير الظل: الشهيد الحي، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2016.
24. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، 1998.
25. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ط1، 1988.
26. عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية (دراسة في ثلاثية خيرى شاي)، دراسات وبحوث الإنسانية والاجتماعية، الكويت، ط1، 2004.
27. علي البطل، الصورة في الشعر العربي من آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس للنشر والتوزيع، د.ب، ط2، 1981.
28. عمار علي حسن، النص والجدران تجربة السجن في الأدب العربي المعاصر، تح: شعبان يوسف، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة (مصر)، د.ط، 2017.

29. عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج3، 1965.
30. غسان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966، دار منشورات الرمال، قبرص، ط1، 2013.
31. غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1967-1984، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت (لبنان)، ط1، 1968.
32. فراس حاجة محمد، تصدع الجدران: عن دور الأدب في مقاومة العتمة، جسور الثقافية للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2023.
33. كمال عبد الرحيم رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة، عمّان (الأردن)، د.ط، 2008.
34. محمد أنقار، بناء الصورة في الرواية الاستعمارية: صورة المغرب في الرواية الإسبانية، مكتبة الإدريسي للنشر والتوزيع، ط1، المغرب، يناير 1994.
35. محمد عمارة، إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين، دار نهضة مصر، مدينة السادس من أكتوبر-مصر، ط1، 1998.
36. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، مصر، ط1، 2001.
37. محمد نديم خشفة، تأصيل النص - المنهج البنيوي لدى غولدمان (دراسات في المنهج)، مركز الانماء الحضاري، حلب-سوريا، ط1، 1997.
38. محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، د.ط، 1955.
39. محمود درويش، الأعمال الأولى، الرئيس للنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، ط1، 2005.
40. نواف الزرو، القدس بين مخططات التهويد الصهيونية ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية، دار الخواجا، عمان-الأردن، ط1، 1991.

رابعا - الرسائل الجامعية والمقالات العلمية:

1. عبد الله بن صفية، المتخيل التاريخي في الرواية الجزائرية: جدلية المرجع والمنجز السردي (رسالة دكتوراه من جامعة باتنة 1).

خامسا - المواقع الإلكترونية:

1. ابراهيم فؤاد عباس، أدب المقاومة الفلسطينية: الجذور والسمات والتطورات، الجمعة 2015/11/13، سا 8:59 بتوقيت القدس.
2. أحمد أبو زهري، الطريق الى يافا.. رواية البطولة وابداع المقاومة، موقع فلسطين اون لاين، 29 نوفمبر 2020، الساعة 10.02 بتوقيت القدس.
3. تميم البرغوثي، ستون عاما، قناة ساحة +AJ، نشر بتاريخ: 17 ديسمبر 2018.
4. تميم البرغوثي، قصيدة في القدس، قناة ساحة +AJ، نشر بتاريخ: 3 فيفري 2020 .
5. تميم البرغوثي، نفسي فداء، قناة ساحة +AJ، نشر بتاريخ: 21 نوفمبر 2018.
6. تميم البرغوثي، يا مدرك الثارات، قناة ساحة +AJ، نشر بتاريخ: 7 نوفمبر 2018.
7. حنين ياسر، أدب السجون صورة حية لمعاناة الأسرى الفلسطينيين، موقع الجزيرة نت، 2019/04/17.
8. ربما حاج الحسين، قراءة في "زغاريد السجون" للشيخ رائد صلاح، محطة إضاءات، 2023/03/1.
9. ضرار محمد الحروب، أدب السجون... حرية القلم، موقع الجزيرة نت، 2017/3/30.
10. طارق عبود، عن الأدب المقاوم ودوره التاريخي، 2017/11/12، سا 20:46 بتوقيت بيروت.
11. قناة تلفزيون فلسطين، نشر بتاريخ: 6 ديسمبر 2021.
12. محسن عتيق خان، غسان كنفاني...رائد دراسة الأدب المقاوم والأدب الصهيوني، 2018/7/22.
13. محمد ياسين رحمة، أصوات شعرية جزائرية تحدث سجون الاستعمار، موقع الأيام NEW، 2023/1/8.
14. كاميليا حسين، جدران العزلة مع سن القلم...لماذا يجب أن نقرأ أدب السجون، موقع الجزيرة نت، 2021/12/5، 8:28م، بتوقيت مكة المكرمة.
15. مها نشوان، أحاديث السجن...عن الأدب الفلسطيني في معتقلات الاحتلال، موقع نون بوست، 1 جويلية 2022.

16. واسيني الأعرج، أدب السجون: الحالة الفلسطينية، موقع القدس العربي، 21 مارس 2023.
17. وضاح عيد، أدب السجون الفلسطيني بحاجة للإنقاذ والجمع، موقع الجزيرة نت، 2006/12/14.
18. ياسر علي، أدب الأسرى الفلسطيني: تاريخ ومراحل، موقع مؤسسة العودة الفلسطينية، 2019.

A decorative border with floral and scrollwork patterns in black ink, framing the central text.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

.....	شكر وعرفان
.....	إهداء
أ.....	مقدمة

مدخل: تأطيرات مفاهيمية

7.....	أولا- الصورة:
7.....	1/ الصورة الروائية
7.....	1-1/ عند العرب المتقدمين
8.....	1-2/ عند العرب المعاصرين
10.....	ثانيا- أدب المقاومة
11.....	1/ مفهوم أدب المقاومة
12.....	2/ ظروف نشأته
17.....	3/ رواد أدب المقاومة (نماذج)
17.....	1-3/ في الشعر
22.....	2-3/ في السرد
23.....	ثالثا- أدب السجون
23.....	1/ مفهوم أدب السجون
26.....	2/ نشأة أدب السجون
29.....	3/ التجربة الفلسطينية في أدب السجون

33 4/ نماذج من أدب السجون الفلسطيني

33..... 1-4/ الشعر

37..... 2-4/ السرد

الفصل الأول: المقاومة وذوات الإنجاز؛ الشخصية والحدث

40 أولاً- الشخصيات

40..... 1/ مفهوم الشخصية

56 ثانياً- انبئات الحدث

57..... 1/ وضعية المنطلق

58..... 2/ وضعيات الإنجاز

64..... 3/ وضعية الوصول

الفصل الثاني: تشكلات الزمن والفضاء المكاني

68 أولاً- تشكلات الزمن

71 1/ المفارقات الزمنية

71..... 1-1/ الاسترجاع

76..... 1-2/ الاستباق(الاستشراف)

80 2/ الإيقاع السردى

81..... 1-2/ تسريع السرد

81..... أ/ الخلاصة

83..... ب/ الحذف

85..... 2-2/ تبطئ السرد

85.....	أ/ الوقفات الوصفية
89.....	ب/ المشاهد الحوارية
93	ثانياً- تشكلات المكان
الفصل الثالث: المقاومة والرد بالكتابة	
103	أولاً: تشكلات اللغة وفعل المقاومة
103	ثانياً: مضامين النص السردي وفعل المقاومة
104	أولاً: تشكلات اللغة وفعل المقاومة
104	1/ معركة المصطلحات
108.....	2/ إسلامية الصراع في فلسطين
111.....	3/ تهويد المكان
113	ثانياً: مضامين النص السردي وفعل المقاومة
113.....	1/ قوة الكلمة في رواية الأسير
119.....	3/ القائد خليل الشريف
120.....	3/ الشيخ أحمد ياسين
126	الخاتمة
129	الملحق
142.....	قائمة المصادر والمراجع
149	فهرس المحتويات

ملخص الدراسة :

جاءت هذه الدراسة لبحث صورة المقاومة الفلسطينية في كتابات الأسرى الفلسطينيين من خلال رواية الطريق إلى شارع يافا للأسير الفلسطيني عمار الزبن، وذلك لتسليط الضوء على مظهرات المقاومة حيث عرجنا إلى كل مكون سردي تحليلي وتأويلا وتفسيرا، وتقصيا لفعل المقاومة الساكن في لغتها وبين مضامينها، و تتوج بحثنا في ختامه بمجموعة من النتائج التي خرجت بها الدراسة

الكلمات المفتاحية: المقاومة، الطريق إلى شارع يافا، عمار الزبن، الزمن، المكان، الشخصيات، الحدث.

Study summary:

This study came to examine the image of the Palestinian resistance in the writings of Palestinian prisoners through the novel The Road to Jaffa Street by the Palestinian prisoner Ammar Al-Zaben, in order to shed light on the manifestations of resistance, as we went back to each narrative component for analysis, interpretation, and explanation, and an investigation of the act of resistance residing in its language and its contents, and culminates in In conclusion, we discussed a set of results that emerged from the study

key words: Resistance, the road to Jaffa Street, Ammar Al-Zaben, time, place, characters, event.